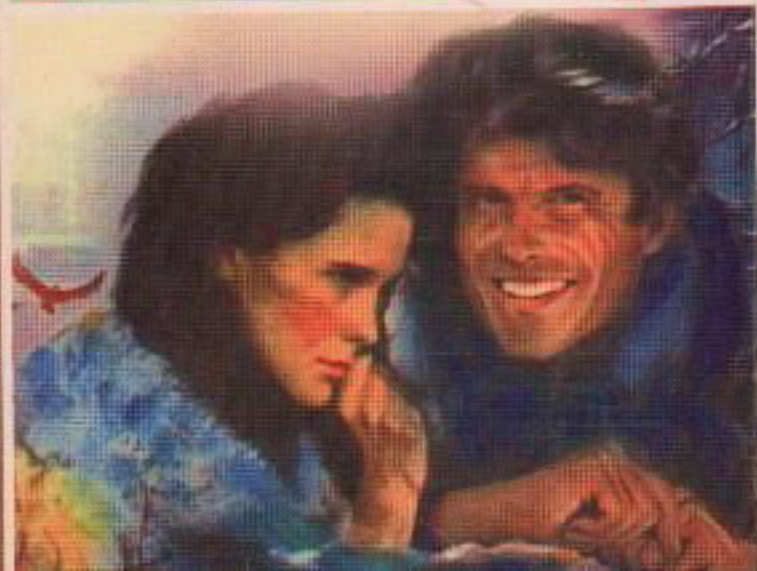


مجلة  
روايات أحلام



فراشة المحبة

لبنانة الرمح



# مجلة روايات أحلام

## فراشة المحبة

### ابنة الريح

.. ويشق بصيص النور حجب الظلام، فتولد المعجزة وتستيقظ الحياة.. أيمن للحب أن يتسلل هكذا إلى النفوس؟  
لم يكن ما عرفته مائي بروكتر عن تريفور ستار مشجعاً فقد اكتشفت أن الشخص الذي وضعت تحت وصايته، ليس فقط قاسياً ومكراً كالشيطان كما قيل لها، بل هو رجل لا رحمة في قلبه، لا يتوانى عن رمي مصالح الآخرين عرض الحائط في سبيل مصالحه.

لكن جاذبية تريفور كانت قادرة على إغواء العصافير على الشجر، فكيف نقناة بريئة ساذجة المقاومة؟ وهل يمكن لشعاع الحب أن يخترق ظلام نفسه في النهاية؟

لبنان ١٥٠٠	الامارات ٦٠٠	مصر ١٠٠	ليبيا
سوريا ٥٠٠	قطر ٦٠٠	البحرين ٥٠٠	البحرين
الأردن ١٠٠	المغرب ٦٠٠	تونس ٥٠٠	السودان
الكويت ٥٠٠	السعودية ٦٠٠	عمان ٦٠٠	العراق

## ١ - أين الماوى؟

كانت مائي كمعظم الأولاد، وربما أكثر منهم جميعاً، بحاجة إلى ذلك الشعور «بالانتماء»... ففي أعماق قلبها فتاة محبة، عاطفية حتى الجنون، وكانت طبيعتها الدافئة المحبة، تنوق إلى شيء أو إلى شخص تستطيع أن تمنحه عاطفتها.

من الغريب أن معلمة الكيمياء، التي لا تنظر إلى الحياة والإنسانية إلا بمنظار التفاعلات الكيميائية، أن تكون هي من قدمت ملاحظات دقيقة عنها، وذلك خلال اجتماع لم يدم أكثر من عشر دقائق بين المعلمات حين بُحثت أوضاع التلميذات النفسية بصراحة، إذ قالت بطريقتها المعروفة:

- ستكون مائي بروكتر حين تكبر إما نعمة بشكل عفيف أو سعيدة إلى أقصى حد. لديها مخزون كبير من العاطفة، وهو رهن بما ستلقاه في حياتها. فهل ستهدب يا ترى هذه العاطفة لمن يستحقها أم لمن لا يستحقها؟  
سألته معلمة اللغات:

- ألا ينطبق هذا على الناس جميعهم؟

- اوه... لا، إن معظم الناس يوزعون عاطفتهم قليلاً، حتى إذا ما فشلوا في اتجاه معين، يكون أمامهم فرصة للتعويض في اتجاه آخر... لكن مائي ستضع عاطفتها في اتجاه واحد... فإما



أن تصاب بكارثة أو تُمنى بإحدى أروع قصص الحب... إنه لمن  
المؤسف أن تكون جميلة.. لأنها بهذا ستجذب الأنواع السيئة  
إضافة إلى الجيدة منها على حد سواء.

وعندما قرع الجرس، إيداناً بيده الفصل التالي، لم تعد أي  
من المعلمتين مهتمة بها.

لكن معلمة الكيمياء كانت أقرب إلى الواقع والحقيقة من  
معلمة اللغات، أو منها هي نفسها. فهي فعلاً تملك مخزوناً من  
العاطفة والحب.. ولم يكن لديها من توزعهما عليه.

إن أول ما يلفت النظر إليها، عيناها الواسعتان السوداءوان  
اللذان تحيط بهما أهداب كثيفة، وشعرها الأسود الناعم السميك  
البالغ حدّي كثيفها والممتد منه غرة قصيرة على جبهتها  
العريضة. أو وجهها المائل، في مثل هذا العمر إلى استدارة  
طفولية.

أما بشرتها فتاعمة بيضاء وأما فمها فممتلئ أحمر. وأنفها  
قصير متحد، لطالما كرهت افتقاره إلى الطول الرومانسي، لكنه  
كان حقاً ينسجم مع وجهها الدائري.

وتنهدت مائي.

كانت أحياناً تعتقد أن أجمل ما في الوجود أن يكون للمرء  
جذور عائلية طبيعية وبيت ينتمي إليه. لكن بعد أن عاشت يتيمة  
منذ السادسة من عمرها مع العمّة كارولين الصارمة، أصبح  
انطباعها عن العائلة ضبابي إلى أقصى حد.

تذكرت بضع مناسبات، رأت فيها عمّتها كارولين التي  
كانت امرأة لا تعرف الابتسامة، مستقيمة إلى حد التزمّت، ذات  
شعر رمادي وأخلاق شرسة، حتى يكاد المرء يحس على غير



إرادته أنها تطبق القوانين دون رحمة، فقد تؤمن بأن أموراً  
مثل الدوش البارد والاستيقاظ المبكر أفضل ما في الوجود لا  
شيء إلا لأنها أمور غير مرغوب فيها.

كانت تدفع دون تردد أو حماسة تكاليف تعليم مائي في  
أفضل المدارس الداخلية، لكنها لم تكن تحاول إخفاء عدم  
اهتمامها الشخصي بها. وكانت في فترات العطلات ترسل مائي  
لقضاء أوقات صحية، ولو مملة في مزرعة تملكها تبعد على  
الأقل مئات الأميال عن مكان سكنها.

ولأنها شابة طبيعية، كانت سعيدة خلال فترات الدراسة،  
وأسعد في العطلات.. لكن أحياناً كانت تستولي عليها سويداء  
ممزوجة بما يشبه الذعر... فليس لها مكان في العالم قد  
تدعوه بيتها أو موطنها، وليس لها من تنتمي إليه حقاً.

ارتدت مائي في مقعدها المتزوي في القطار وهي تراجع  
موقفها. ثم راحت تسأل عمّاً إذا كان عليها أن تبلغ من حولها  
في المقصورة أن الرجل الذي يتحدثون عنه بهذه الصراحة ما هو  
إلا هو وصيها.

ربما كانوا ينظرون إليها على أنها صغيرة جداً، لكن يجب  
على الناس ألا يخوضوا أحاديث سخيفة كهذه أمام غريباء،  
خاصة إذا كان هذا الغريب صغيراً.

لم يكن حديثهم محرراً، بل مخيفاً. فهم يصورون  
الوصي، الذي تقصده لتكون تحت رعايته، وكأنه شخصية  
مخيفة.. إذ قالت السيدة ذات القبعة الوردية:

- شير... هذا ما قد أصف به تريغور ستر... شير لكن  
بطريقة جذابة طبعاً.

ردت المرأة الحادة النظرات في الزاوية:

- يذكركي دائماً بأحد كرادلة العصور الوسطى. أحد أمره الكنيسة، ألا تعرفينهم، يبدوون كالقديسين، لكن لا سبيل إلى خداعهم. إنه من طراز يثير الاهتمام.  
قاطعهما الرجل الأحمر الوجه:

- ليس لتريقور طراز... إنه فريد في نوعه، وهذا من حسن الحظ. ولا تكوني حمقاء سبيل بهذا الحديث عن الكاردينالات والقديسين. فلا يكاد الرجل يكون مؤمناً.

- وهذا ما قلته بالضبط. إنه يبدو قديساً، لكنه دنيوي. وهذا ما عينه بقولي «لا يمكن خداعه» يا جيس كما أنني مؤمنة بأنه يشبه كاردينالاً إذ تجد حوله هالة من السلطة... وهو إلى ذلك شريف، ويعرف كيف يحصل على ما يريد، دون الاهتمام بالوسيلة. كما أنه متكبر يا إلهي! لم أعرف قط رجلاً أكثر تكبراً من، أو أكثر برودة.

رد جيس موافقاً:

- أوه... أجل، إنه متكبر دون شك... متكبر كإبليس!

- لا تنس أن إبليس هوى.

فألها جيس:

- هوى؟ من هو إبليس إذن؟

- أوه جيس... حقاً تجعلني أحجل منك أحياناً. لست

أدرى من أين لي أخ جاهل مثلك... إبليس هو ملك الشياطين طبعاً.

- حسناً، إنه اسم يناسب تريفور.

ومضحك بصوت مرتفع، ساد بعده صمت ذاهل، ولم تلبث

أن وجدت مائي وجهها ينضج خجلاً فقد أحست أنها تتجسس عليهم. ما الذي جعلها تنصت إلى حديثهم؟ لكنها لا ترغب في أن يوصف وصيها بإبليس، حتى وإن كانت لا تعرفه.

قد يكون كما يصفون فهي لا تستطيع المعرفة لأنها لم تروه من قبل... لكن ليس من حق هؤلاء قول هذا أمامها، فسارعت تقول:

- كلمة إبليس تعني كذلك «الوضاء»... كان ابن «أولارا» إلهة الصباح عند الإغريق.

فعلق الرجل الأحمر الوجه:

- حسناً... ها أمامنا شابة مثقفة... كم من المعلومات المهمة تخترين تحت شعرك الأسود؟

- ليس الكثير... لكنني أعرف هذا لأننا درسنا في المدرسة رواية القديس الصانع، وتلقينا معلومات كثيرة عن المعاني المختلفة لكلمة «إبليس».

- لكك يا عزيزتي لا تعرفين شيئاً عن إبليس المحلي... فلا ذكر لوجوده في المدرسة، أه؟

وعاد إلى الضحك حتى صاحت به شقيقته متصنعة التزمّت:

- جيس!

فقالت مائي بيروود:

- إذا كنت تعني بإبليسكم المحلي، السيد تريفور ستر فأعرف عنه الكثير لأنه وصي وأنا في طريقني إلى انديان ستون الآن.

- وميت؟

صرخت كلا المرأتان بذعر أكثر من دعشة بينما سارع



الرجل يقول:

- يا إلهي!

فضحكت مائتي مع شيء من الرينة، ووجدت نفسها

ترتجف:

- أهذا غير طبيعي؟

فقال الرجل:

- إن كان تريفور ستار وصيك .. فأنا أقول «أجل»!

سارعت المرأة تروعه:

- صه يا جيس!

التفت إلى مائتي:

- هل أنت ابنة أخيه أو أخته أو شيء من هذا القبيل؟

- ليس في الواقع .. فنحن لسنا قريبين أبداً. إن المرأة التي

عُهدت رعايتي إليها هي أخته غير الشقيقة.

بدت الحيرة على وجوه الموجودين فضحكت وأكملت:

- الأمر ليس صعباً، فنلك المرأة كانت زوجة شقيق أُمي،

وحين مات والداي رعيتي حتى مماتها، أما السيد ستار فأخوها،

لا أعرفي إن كان من جهة الأم أو من جهة الأب. وأنا لا أعرفه

أبداً، كما أنني لم أعرف العمه كثيراً، إذ ترعرعت في مدرسة

داخلية، ولم تكن تستقبلني في منزلها خلال العطلات .. بل

فضلت أن ترسلني إلى أناس في مزرعة تملكها.

فقال الرجل:

- لو عُهدت إلي رعاية فتاة مثلك، لأحيت أن تكون في

بيتي .. تياً إن هذا لمخز!

- لا أظن أن العمه كارولين أحببت الأولاد.

- والآن بعد موتها تولى وصايتك تريفور ستار.

- أجل وأنا ذاهبة الآن لقضاء العطلة في قصره للمرة

الأولى.

- وهل جنت من مكان بعيد؟

- أجل، أسيروني في الفطار منذ ليلة البارحة، فمدرستي

الداخلية تقع شمال بنسلفانيا، وقد وصلت إلى يسرع أولاً ثم

انتظرت الفطار المحلي انقادم إلى هنا.

- هل ستزلين في فورت واين أم في غراي؟

- قال المحامي إن علي التزول في غراي، لأنها الأقرب

إلى إنديان ستون.

- إنديان ستون تبعد محطتين عنها. منزل نحن في فورت

واين، إذا شئت مرافقتنا، نذلك على الطريق الصحيح.

قاطعت أخته:

- هراء .. لا شك في أن هناك سيارة بانتظارها. وإذا

قبل لها توجهي إلى غراي فلا داعي إلى نزولها في فورت واين.

يجب أن تبدأ منذ الآن بإعطاء صورة جيدة عن نفسها.

- أجل .. هذا صحيح .. المسكينة.

- لماذا؟ أعني لماذا المسكينة؟ يبدو أنكم لا تحبون وصي

أبداً؟

- إنه رجل غير محبوب في المنطقة. فهو متحفظ .. ولا

يشارك الناس همومهم.

وبدأ الفطار يخفف سرعته حتى توقف أخيراً .. وبدأ

الركاب الثلاثة يجمعون حقائبهم استعداداً للتزول.

قال لها الرجل:



- غراي هي المحطة التالية، ستصلين انديان ستون في الساعة الخامسة تقريباً. أتمنى عليك زيارتنا حين تأتين إلى هنا... فنحن من عائلة متوكمان. اسألني عن القصر الأبيض منزلاً، وسيرشدك إليه أي إنسان في المنطقة.

فشكرتهم مائتي، وما هي إلا دقائق حتى انطلق القطار من جديد وعادت إلى التكوور في زاوية المقعد تفكر.

عندما اقترب القطار من غراي، أنزلت حقيبتها عن الرف ووقفت أمام النافذة. وقبل أن يقف نهائياً كانت قد ففرت مت إلى الرصيف.

لكنها لم تجد أحداً ينتظرها. فتقدمت ببطء نحو البوابة الصغيرة التي تمثل حاجز التذاكر، الحاجز الفاصل بين البلدة وبين العالم الخارجي، فتبين لها أن ليس هناك من عوكة تنتظرها كذلك، ولم تر إلا عربة مزارع، هي على ما يبدو لمزارع ينتظر أن يحمل إليه القطار بضائع. ما إن وصلت إلى البوابة، حتى ترك شاب حاد النظرات عمله في كتس رصيف المحطة، ومد يده ليضحص تذكيرتها، فسألته:

- هل حضر أحد إلى هنا من انديان ستون اليوم؟

- نعم؟

- أنا ذاهبة إلى انديان ستون. إلى منزل السيد تريثور ستاره.

فهل سأل أحدهم عن موعد وصولي؟

- كان عليك أن تسألني في فورث واين للوصول إلى انديان ستون.

- لكن طلب مني أن أنزل هنا.

بدا أن الشاب فقد الاهتمام بها، فالصت يراقب انطلاق

القطار مجدداً من المحطة. وبعد انتظار قالت له:

- كم تبعد سيرا؟

- سأل بغياء:

- إلى أين؟

- إلى انديان ستون.

- مسافة قصيرة.

- أتمنى مئتين أو ثلاثة؟

أشار الفتى بيديه دلالة عدم المعرفة. فالتفت حولها بائسة، فشاهدت المزارع يقترب وهو يجزر عربة محملة بالبضائع، فاستدارت تسأله:

- هلأ قلت لي كم تبعد انديان ستون عن هنا؟

- خمسة أميال تقريباً. أيها الشيطان الصغير.

سقت بضع ثوان قبل أن تعرف ماني أن الجملة الأولى وأجبت إليها أما الثابتة فكانت لديك رومي كبير أطل من قفص فوق البضاعة التي يجرها المزارع وتقر أصبعه بمقاراه.

- هل أنت ذاهب في ذلك الاتجاه؟

- آسف يا عزيزتي، فأنا أقصد الاتجاه المعاكس تماماً.

واليوم هو الجمعة، موعد معظم أعمالتي، ولن أستطيع الابتعاد عن طريقتي.

- بالطبع لا. لا أود إعادتك عن طريقك. قد أجد من يوصيني.. لكن أي طريق أسلك؟

- لكن أي طريق أسلك؟

- اسلكي هذا ثم انعطفي بعد نصف ميل يساراً وصولاً إلى

مشرق الطرق وبعد ذلك خلدي يمينك فتصلي مباشرة إلى انديان

ستون.



- أهناك قرية غير المنزل؟

- ألسن تقصدين القرية؟

- لا.. أفصد منزلاً كبيراً.. منزل السيد ستار.

- انتزع المزارع قبعته ومسح جبينه بمنديل كبير.

- وهل أنت ابنة أخت مدبرة المنزل؟

- لا.. فأنا الموصى بها لتكون تحت رعاية السيد ستار..

- لكنني لا أعرف المكان. لذا أنا مضطرة للسؤال عن الطريق.

- السيد تريفور ستار وصيك؟ حسناً.. ما رأيكم بهذا؟ لم

أكن أعلم أنه يرعى فتاة شابة.

- لقد أصبحت تحت عهده منذ فترة وجيزة.. فنحن لم

نلتق من قبل.

- ألم تره قط؟

- قط.

- ما رأيكم بهذا؟

كادت ماثي تسأله عما إذا كان يظنه شريكاً كما سمعت، كما

كادت تسأله عن عمره، فهي حتى هذه اللحظات لا تعرفه.

لكنها شكرت المزارع والتقطت حقيبتها وبدأت تسير باتجاه

الطريق الذي أشار إليه.

كان المساء في أوله الآن، لكنه مساء دافئ جميل. ولولا

ثقل حقيبتها لتمتع بالسير.. على الأقل كانت تتمتع

بمسيرها لولا ما سمعته من الناس. ربما هناك من جاء

لاستقبالها وأخطأ موعد القطار.

لكن أخطاء كهذه نادراً ما تحدث عندما يكون القادم شخصاً

مرحباً به. مع ذلك لا داعي للمبالغة في الأمور الصغيرة.. على

الأقل غير وصيها الجديد تكتيكات العمدة كارولين ودعاها إلى  
منزله لقضاء العطلة، حتى قبل أن يعرفها.

أمام مقترق الطرق، وضعت حقيبتها، وفركت ذراعها ثم

نظرت حولها.. فإذا في كل اتجاه من المقترق تمتد نلال مليئة

بالأشجار، مع أن المنطقة ليست وعرة ليقال إنها برية. لكن لا

منزل على مرمى البصر، إلا منازل ريفية بعيدة.. تتزع عن

المكان صفة الوحدة.

كثت الشمس غرباً ترسل أشعتها على السماء وكانت في

كل الاتجاهات تمتد مراعٍ ثملة في شمس الصيف الغاربة.

بشا ما حولها ودوداً. ولاحظت أن الطريق الذي سلكته رغم

تصاعده إلى الأعلى، غير متعب، يسهل عليه السير.

عابثاً سارت مسافة قصيرة حتى سمعت عن بعد، في

صوت الأسيخ الضامنة الهادئة، صوت اقتراب سيارة. فتمنت أن

يراهما سائقها ويعرض عليها إيصالها، ولو إلى مسافة قريبة.

فجأة ظهرت أمامها سيارة طويلة منخفضة، بنيت خصيصاً

للسرعة، فيها راكب واحد، شاب مرح الأسارير، يجلس خلف

مقودها، تقدم ببطء ووقف قريباً:

- مرحباً.. أتريدان أن أوصلك؟

- أحب هذا.. إذا كنت ذاهباً في اتجاه انديان ستون.

- هذا هو المكان الوحيد الذي تفضي إليه هذه الطريق.

تول ليتناول منها الحقيبة ثم فتح الباب لها بعد أن رمى

الحقيبة على المقعد الخلفي. سمعت ماثي يحلر إلى المقعد

قريباً، وانصتت السيارة مجدداً.

- هل أنت حقيفة في انديان ستون؟



- أجل، عند السيد ستار، وصي.

- يا إلهي، وكيف تتدبرين أمرك معه؟

- أنا لا أعرفه.. سألتقيه للمرة الأولى.

- أوه.. هكذا إذن.. أنا آسف.. لا تدعي كلامي يتزعجك.

شجاعتك، أستطيع القول إنني متسرع في أحكامي خاصة في أمر

كهلنا، فلم يسبق أن كان لي وصي يذميني أو أب يرعاني مثل

ولادني.. فأنا نتاج مجتمع عايب، الابن الوحيد لأرملة وأم

متسامحة.. لكن هذا كله مكتوب على وجهي دون شك أو

استتحي ذلك بنفسك.

فضحكت مائي وأدارت وجهها كضحك.

- لا أظنك نتاج مجتمع عايب.. بل ابناً عاقلاً لأم أرملة.

- أوه.. أنا ولينا متفقان.. أتدري لينا لأنها ترفض أن أقول

لها «أمي» وهي على حق ذلك لها أصغر من أن يكون لها ابن

في مثل سني.. لا أدعوها «أمي» إلا حين أود أزواجها.. وإذا

أردت إغضابها قلت لها «أمي العزيزة»، بالمناسبة اسمي جيري

مايسون.

- واسمي مائي بروكتر، ما اسم أمك؟

- لينا.. إنها روسية، أو نصف روسية، هي امرأة أنيقة على

الطريقة الأرستقراطية الروسية القديمة. لكنها ليست من أتباع

القبصرية ولا من مؤيدي البولشفية الحمراء.. إنها حقاً طيبة

وجميلة جداً.

- تبدو من هذا الوصف مرحة.

- متريتها بنفسك دون شك.

فابتسمت مائي ترقياً:

- سافعل؟

- إن مكنت طويلاً تربيتها بكل تأكيد.. كم متيقين مع عمك

الجداب؟

عزت مائي بحصول إليه:

- أظن أن السيد ستار شرير وجذاب؟

- أوه.. لا.. ليس حقاً، فأنا كنت أمارحك.. كم من

الوقت ستكفين؟

- العظة المدرسية.. أي حتى منتصف أيلول.

- إذن يجب أن تزورينا لتقابلينا.. سأطلب منها الاتصال

بك حتى ترتب الزيارة، فلا أظن وصيك يحبني، ومع أنه لا

يحب لينا كذلك إلا أنها شخصية يصعب قول الاء لها..

فلم يرد علي.

- ولماذا لا يحبك؟

- لست أعري، مع أنني لا أتصور أن هناك من لا يحبني،

أنت لا تحب الناس عموماً، وعلى الأخص منهم الشبان

المحرورين الذين لا يحبونه أيضاً.

تهدت مائي:

- يا إلهي!

- لا تقلقي، ما دمت لن تتدخلني في خطفه أو حبه،

سيح لك بفعل ما شئت..

- وسأدعي بخطفه؟

- لست أعري بالفصيح.. إذ يجب ألا أروي الشائعات

تدري حواء، تلك نوع من الرجال، لو كان في القرون الوسطى

لحطم الصليب أو على الأقل لخلع أسره أوروبا عن



إماراتهم.. إنه مولود للتلاعب بالأحداث، لكن لا وجود لمثل هذا النشاط في أماننا هذه.. ومع ذلك أظنه يطبق هذا النكتيك على كل ما يريد أن يحققه من شراء أراضٍ يضيفها إلى أملاكه الكبيرة إلى هزيمة عضو في المجلس البلدي إذا لم يعجبه وجهه.

- ألهذا هو شهير في المنطقة؟
- وما الذي جعلك تظنه شهيراً؟
- حسناً.. أليس شهيراً؟
- هذا تقريباً الوصف الملائم له.
- سمعت أشخاصاً في القطار يتحدثون عنه.
- فضحك جيري مايسون متعاطفاً:

- أيتها الفتاة المسكينة لا توترى أعصابك مسبقاً من أجله.. مستديرين أمرك معه.. ها قد وصلنا إلى بوابة الطريق الخاصة.. وأظن أن من الأفضل ألا أوصلك إلى المنزل.. سأنتقل بك هذا المساء لأطمئن عليك.

- حقاً؟ هذا لطف منك.

راقبها حتى أخفتته انحناءة في الطريق الداخلية عنها، فاستدارت تلوح له، فرد عليها وانطلق. التوت الطريق الداخلية المؤدية إلى المنزل والمحاظة على الجانبين بأشجار الغار، مرتين قبل أن يطل عليها المنزل الذي توقفت عنده مذهولة. فأمامها يقع أجمل قصر قديم، يلمع قرميده الأحمر تحت أشعة شمس المساء، وتنعكس نوافذه المرتفعة الطويلة ذات الزجاج البراق كالألماس لمعان الغريب، وتمتد مداخنة المرتفعة نحو السماء الزرقاء الصافية.

لا يبدو هذا المنزل أثرياً بكل ما للكلمة من معنى، فالصمم التي اتخذها في الوقت الحالي جعل من الصعب عليها معرفة الأصل من.

هناك على جانبيه، مرجات ناعمة من العشب تحيط بحديقة عية بالأزهار الملونة، ولا تدري لماذا شعرت مائي بأن في موحرة المنزل واحدة من تلك الشرفات المتدرجة المبنية خصيصاً لتعرض السيدات فيها أجمل ما عندهم إلى جانب سيد في سراويل ضيقة وصدار مزخرفة.

أحست بأنها منطلقاً من القرن العشرين دخلت إلى التاريخ، سارت تحتل آخر امتداد أمامها من الطريق، وصولاً إلى درج حجري عريض يقضي إلى بوابة خشبية من السديان السميك، تتلى منها قبضة نحاسية لجرس يدوي.

وكانها تتحدث، جلست قبضة الجرس، فرن صوت رخيم في مكان قصي، وكأنه بعيد في زمن سحيق، وقضاء واسع. كان من فتح لها الباب رجلاً عصرياً لا أثر فيه للصورة المزخرفة التي رسمتها في مخيلتها عن المكان.

- أنا مائي بروكتر، وأعتقد أنكم تتوقعون وصولي.

- تفصلي أرجوك سيدتي.. وسأستدعي السيدة هدمون مديرة المنزل.

يدو أن على من يريد الوصول إلى الوصي أن يمر بسلسلة من الوسطاء، أم يكون السبب عدم استعداده لتحمل قبول قصتها على حامل الجدا، ويفضل ترك الأمر للمديرة.

بعد لحظات، تقدمت ميدة عجوز ترتدي ثوباً أسود:

- آسة بروكتر؟



ذات ألوان زاهية، كانت معمورة بشمس المساء. فصاحت  
 - ما أجمل هذه الغرفة! أهي حقاً لي؟  
 - أجل آتة مائي... وأنا سعيدة لأنها أعجبتك.  
 - ليس هناك من إنسان قد لا يحبها! ما سكنت قط في  
 مكان جميل كهذا، هل اخترتها أنت لي سيده همدسون؟  
 - لوه... لا آتة مائي؟ السيد ستار طلب منا أن نعدّها  
 لك... قال إن الصغار بحاجة للنور واللون.  
 - هو قال هذا؟... ما أطفه!  
 - اتزني حالما تجهزين تجديني في غرفتي الواقعة في نهاية  
 الردهة.

وتركت مائي تتصرف كما تريد.  
 لم يكن أمامها وقت طويل لتأمل مكان إقامتها الجديد. إلا  
 أنها فهمت أن المتزل ررغم طرازه الأثري القديم يحمل بين  
 جيبه ما هو أبعد بكثير عن وسائل الراحة العصرية من الداخل.  
 صحيح أن الخشب المحفور والستائر الزرقاء تحافظ بطرازها  
 على صبغة تلك الفترة، إلا أن بدأ بارعة أضفت لمسات القرن  
 العشرين بكفاءة عالية، وما كان في الأزمنة الغابرة غرفة  
 ملابس، أصبحت حماماً رائعاً عصرياً.

بعد أن اغسلت راحت تسرح شعرها الأسود ثم لم تلبث  
 أن بدلت ملابسها فارتدت فستاناً أحمر أبرز جمالها الدافئ.  
 وقفت تتأمل ما حولها، تلاحظ كل تفصيل جديد بسعادة، وتفكر  
 في قول وصيها «الصغار بحاجة إلى النور واللون» فهذا لا ينطبق  
 على الوصف الذي تلقته من الناس خلال الساعات الأخيرة...  
 فهذه الملاحظة لطيفة متسامحة، إنها ملاحظة ما كانت لتضوه بها

- نعم -  
 شعرت بأنها وصلت إما مبكرة جداً أو متأخرة جداً، لكن  
 بكل تأكيد ليس في الوقت المحدد.  
 - عرفت أنك نزلت في محطة غراي الخطأ.  
 - لم يكن خطأ، فالمحامي السيد بيتوسا طلب مني التزول  
 في غراي.  
 - كان يجب أن يرشدك إلى فورت واين، بيل أخذ السيارة  
 وانتظر هناك.  
 - أنا آسفة لهذا.

- لم تكن غلطتك. قالت الأنسة شوكرمان من القصر  
 الأبيض للسائق إنك توجهت إلى غراي... كان ذاهباً لتوه لكنه  
 أوصل جرائد المساء أولاً للسيد ستار.  
 - لوه... حسناً، في الواقع أوصلي أحدهم، ولا بأس بما  
 حصل.

- حسناً... سأريك غرفتك الآن. حين تغسلين وتغيرين  
 ملابسك سيراك السيد ستار.

جعلتها الطريقة التي قالت فيها هذه الجملة تشعر وكأنها  
 قلقة، بحيث لا تلبث بأن تلقى وصيها... فلحقت بالسيدة  
 همدسون إلى الطابق العلوي، متمنية من كل قلبها أن تتمكن من  
 العيش في قلل طراز المدينة التي تطبق هنا.

استدارت المدبرة في أعلى الدرج إلى معر خشبي الجدران  
 مصقول لماع يقضي إلى ياحة مربعة، في نهاية غرفة.

بنا أمام عيني مائي الحائرة والحدلى أنها خطت إلى الأمام  
 في عيب الشمس، فالغرفة الجميلة المغطاة بجدران خشبية،



العمة كارولين ولو بعد مئات السنين.

ثم نزلت بقلب خافق إلى الردهة الكبيرة التي كانت خالية.  
كان المتزل صامتاً، صمتاً دافئاً ودوداً. وتوقفت قليلاً في أسفل  
الدرج، ثم تذكرت الغرفة التي خرجت منها السيدة هدمسون حين  
وصلت، فتقدمت منها ودفعت الباب بلطف، فوجدت الغرفة  
خالية كذلك.

تراجعت بصمت وهدوء، على أطراف أصابعها، إلى الوراء  
نحو مقدمة الردهة، فلاحظت أن كل الأبواب السديانية الخشب  
المحفوظة مغلقة، إلا واحداً مفتوحاً قليلاً، فتقدمت منه بالندفاع  
وتوقفت ودفعته بهدوء، ثم نظرت إلى الداخل.

كانت غرفة جميلة، أبيض كغرفتها تماماً، غرفة ساحرة  
مبهجة، وقفت ببابها تنظر إلى من فيها، إلى من لم يحسن  
بوجودها حتى تلك اللحظة. وبدأ لها، كالطباع أولى، أنه أتق  
الرجال.

كان يجلس قرب النافذة، لا تظهر منه سوى واجهة وجهه  
الجانبية، كانت شمس المعيب تضيئ تأثيراً غريباً عليه وكان  
النور يلفه بدثار مضيء جعلها تتذكر تفسيرها لاسم إبليس  
«بالوضاء».. لكن تلك الهالة لم تكن تشع منه، بل من داخله.

فيما بعد، عرفت ماثي أن هذه الشعلة ما هي إلا نور التوقد  
والذكاء اللامع، البعيد كل البعد عن التواضع، وقد وهبت في  
تلك اللحظة روعة فائقة.

بدأ لها رغم جلوسه رجلاً طويلاً، تحيلاً تحيط به هالة من  
الكبرياء التي توحي بالسلطة، سلطة العقل أكثر منها سلطة  
المضلات.

كانت غارقة في تأمله فوقفت دون أن تدري طويلاً هناك،  
الآن، إما أنها أصدرت صوتاً خفيفاً وإما أن وجودها اتصل  
بوعيه بطريقة ما، ففي تلك اللحظة رفع رأسه.

لم تكن حركته لتلك سريعة، لكن عندما نظر إليها، تلقت  
مائي نظرة عينه الزرقاوين الباردتين الواقعتين بصدمة. لم تكن  
قد فكرت حتى تلك اللحظة بلونهما. وعرفت أنها لن تستطيع  
استجماع صورته في مخيلتها دون أن تعدلها صورة عينه  
الزرقاوين.

لم يظهر عليه الدهشة وهو يراها واقفة هناك، بل مد يده  
بكل بساطة نحوها قائلاً:  
- ادخلي يا ابنتي... دعيني أمعن النظر فيك.



www.rewity.com



صدمت مائي من الطريقة التي أظهر بها اهتمامه بموت أو  
حياة العمة كارولين. نعم هي لم تشاهد العمة كثيراً ولا سب  
يدعو إلى أن تذكرها بدهاء، لكنها في مطلق الأحوال قريبة هذا  
الرجل. فكيف له أن ينظر إليها هكذا؟

- ألم تكن... تحب العمة كارولين؟

رد أبح العمة غير الشقيق دون حرارة:

- لا... فربما أنها بغیضة، شخص لا لزوم له في

المجتمع.

صدمت مائي بإجابه، فاعتلت وجه الوصي السخرية:

- لماذا تسألين؟ أكنت تحبينها؟

ردت ببطء:

- لم أكن أعرفها جيداً... ولا أظن أنها كانت تهتم بي،

تسخر. لكنها كانت مثل... أعني، كنت اتشي إليها، كما

تشي إلى أي كان.

- لكك لم تربها تقريباً؟

- أجل.

وقفت، فأدركت أنه كما تكلمت طويل، وسيم بشكل غريب

بمناسبة لرجل. أمسك ذقنها المستدير، وأدار وجهها إلى النور،

بأسها ببرود، وكأنها بالفعل لوحة مرسومة. حاولت أن تنفي

عقته الباردة، لكنها أخفضت عينها وعاد الاحمرار يصغ

وجتها، فقال وهو يترك ذقنها:

- أجل... كانت كارولين امرأة غبية... لنا ليس غريباً أن

تكون وصيبتك نظرياً، متجاهلة أن تلك التي عهدت إليها فتاة

غير عتية المظهر.

## ٢ - قلب دافىء

اقتربت مائي إلى الأمام، دافئة، نضرة، مفعمة حيوية،  
وكانها لوحة زيتية رائعة اقتنحت الحياة فجأة لتبدو عرض الوان  
رائع الجمال... أمسك الرجل الجالس على الكرسي يدها  
ليحدف فيها.

قالت مقطوعة الأنفاس:

- أنا مائي.

- أجل... بالطبع.

كان صوتها البارد يقول إنها لن تكون شخصاً آخر، لذلك  
فإن التعريف بنفسها خال من المعنى، وغي في أن. تضرجت  
وجتاهما تحت نظره الممعنة المتقدة... ثم قال لها بهدوء:

- أنت طفلة حلوة، وأنا مسرور... لأنني أكره الأشياء القبيحة

أو الأشخاص القبيحين حولي.

فتراد تضرج وحتي مائي وقالت بخجل:

- آلا... أنا سعيدة لأنك تعتبرني جميلة.

- لست جميلة فقط، فلبس اللدنه والنضارة علاقة

بالجمال... أنت جميلة وسيكون شغلي الشاغل أن أرى هذا

الجمال ينمو. لقد أحسنت كارولين متعاً بوفاتها الآن، وإلا

لخلقت منك فوضى كاملة وأنت في طور النضوج.



- إنها .. لم تكن تريد تولي أمري ..

- وتركتك تعرفين هذا؟

- اوه .. لم نقل لي هذا بالكلمات ا

- بل جعلتك تحسبن بأنك إنسانة غير مرغوب فيها.

أحست فجأة بالتأثر لإعجاب هذا الرجل السريع بوجه نادراً

ما تفكر هي فيه، وجه سبب لها الألم في أوقات مختلفة ..

وأجاب:

- حسناً .. أعتقد أن من الصعب أن يسعد المرء بالعناية

بأولاد الآخرين.

راحت تتساءل ما إذا كان هذا شعوره أيضاً. فارتجف فمها

قليلاً، وأخفضت عينها، فهي لا تريد أن ترى على وجهه نظرة

التردد والكراهة لأن العمة أوصته برعايتها.

ثم، دون أن تصدق، أحست بيده على شعرها .. كانت

لمسة واثقة، رشيقة.

- حسناً يا طفلي .. أرجو ألا تشعرني بعد اليوم بأنك إنسانة

غير مرغوب فيها.

لم تكن تتوقع قوله هذا خاصة بعدما سمعته مؤخراً عنه من

أقوال تصفه وتخبر أنه شخص غير إنساني لا رحمة فيه.

وما هو يحدثها، يلامسها، بحنان وعطف ونفهم لم تجدها

عند أي إنسان آخر.

لم تكن ماثي بطبعها فناة كتوم فهي تعبر عن مشاعرها دون

أن تكبحها لذا رمت ذراعها حوله وخبأت وجهها في كتفه.

فسمعت بضحك، ضحكة ناعمة باردة، غير خالية من الرضى،

وعادت يده إلى شعرها، فشعرت به يملسه بنعومة.

- يا فتاتي العزيزة .. إن كارولين على ما أحشى أعطتك

عكرة سيئة عن الأوصياء، حتى تظهرني مثل هذه الراحة عند

أنتي بانة عطف من جهتي.

رفعت رأسها إليه مبتسمة دهشة من ظهور الدموع في

عينها:

- اوه .. لا .. أبداً .. لقد أظهرت سخافتي فقط .. لكنني

أحس بالشفقة ما توقعته هذا الترحيب.

- صحيح؟ اجلسي إذن وحدثيني عن نفسك، هل كانت

رحلتك موفقة؟

- اوه .. أجل شكراً لك .. إلا أنني أكملت رحلتي حتى

سحبة غربي بدل التزول في محطة فورت واين، حيث كانت

السيرة تنظرني.

- حسناً كيف وصلت إذن من هناك إلى هنا؟

- أوصلني سيد اسمه مايسون، كان قادماً بسيارته ..

لم يعلق بشيء على جيرني مايسون للدهشت، لكن فمه

الحي سحرية:

- فكنا إذن .. أما يزال بيل ينتظرك في المحطة؟

- اوه .. لا، أتري .. كان هناك أشخاص في المقصورة

حي سيكون في فورت واين .. وهما السيد ستوكمان وأخته

صديقة لهما .. عندما تحدثت معهما عرفوا أنني قادمة

لذا أخذوا إلى انديان ستون. ويبدو أنهما أخبرا بيل عن

تصلي عمة أخرى، لذا كان سيذهب إلى هناك بعد إحضار

السيد .. لكنني وصلت قبل أن يذهب.



مايسون، سبيل ستوكمان، وجيس التوقيع. وماذا أخبروك عني؟  
كاد حتى تلك اللحظة يتأمل سكباً تقطع الورق التقطها عن  
الغرفة، لكنه حين أطلق سواكه رفع بصره إليها فجاءة يرمقها  
بغرة حنة مبردة مخيفة. فأجاب بارتباك:

لماذا... لماذا... لماذا تحبهم ذكروا شيئاً عنك؟

ضحك:

- إنيهم جيرانني وأنا أعرفهم. ولا أحبك تركت الأمر دون  
أن تسألهم بعض الأشياء عني.  
- لم أسأل الكثير.

وتذكرت أن المعلومات وصلت إلى سمعها دون أن تسأل.  
- لا... لكن ماذا استطعت أن تسرعي منهم؟

ترددت قليلاً... ثم ظهرت ابتسامة عابثة على وجهها:  
- أتريد حقاً أن تعرف؟  
- أرجوك.

- حسناً... أحدهم، ولن أقول من هو، قال إنك مثل

إيليس.

- حقاً إيليس قبل أم بعد أن هبط من الجنة؟

- لا... قبل أن يهبط.

- لكنهم سحروا لأحسب يتوقع الهبوط بسرور؟ أهذا كل ما

تلك سبيل ستوكمان؟

- آه... لم أكن... إنها الآلة ستوكمان.

- يا عزيزي مائي... كل من ذكروهم من النوع البسيط غير

المتكلم ما إن أسمع الملاحظة حتى أحدد لك هوية فائلها دون

وصممت مائي بانزعاج. فتابع يقول بازدراء:

- سيكون أي تشبه من مايسون الشاب أقرب إلى التشبهات  
الرياضية... فالتعليقات الكلاسيكية ليست من طرازه... أما  
جيس ستوكمان، فأشك في قدرته على التشبه خارج دائرة  
معرفة الخاصة.

- في الواقع... كان هو من استخدم التعبير أول مرة،  
قال... إنك متكبر كإيليس، لكن الآلة شرحت له من هو  
إيليس.

ضحك عندما سمع منها هذا وقال:

- أرى أنك دقيقة جداً مائي، ولذلك روح عادلة طيبة، أن  
تحولي لي ما كان تعليقك على نقاش موضوع إيليس؟  
حسناً... أخشى أنني أبدت التزمتم قائلة إن إيليس ليس  
بالضرورة ملكاً للشياطين... فهو قد يعني كذلك «الوضاء».

- ولماذا قلت هذا؟

- لم يعجبني تشبيههم لك بالشيطان.

- لكنك ما كنت تعرفين شيئاً عني.

- لا... لكنك وصي، لذا لا أسمع بأن يشبهوك بإيليس.

نظر تريفور ستار إلى من عهدت إليه بفضول واهتمام:

- أنت فتاة غريبة!

ووقف:

- تعالي... يجب أن تستعدي للعشاء.

كانت مائي بشكل عام سعيدة لانتهاء ذلك الحديث دون  
الإشارة إلى جيرمي مايسون.

جلت مائي في غرفة كبيرة رائعة مؤثرة تواجه وصيها على



ساعة خرسية، تذكر في أن هذه هي الغرفة الأولى التي تبدو لها  
كيفية منظمة. كان خشب الجدران أكثر اسوداداً، وستائر النوافذ  
أكثر. ربما أنها تواجه الشرق. خلال نور المساء قد رحل عنها  
ساعات لا يأس به.

أعدت الشموع المضاءة فوق الطاولة العتمة، لكن رؤية  
وصيها على ضوء الشموع الخافت، بدا لها وما يحيط به أكثر  
تجسماً وبرودة من غرفة الاستقبال الغربية المئارة. فسأله مترددة  
تقليلاً لأنها لا تدري ما هي الطريقة الفضلى لمخاطبتها:

- أهدء الغرفة أقدم جزء في المنزل... سيد ستار؟

قبل طريقتها في القول دون اعتراض وأجابها:

- أجل... الجناح الشرقي هو كل ما تبقى من المبنى  
الأصلي، أما سائر أجزاء المنزل فتم إنجازه في أوائل  
القرن. أما الحمامات والمطبخ فهي حديثة تماماً.  
نسيت مائتي له، ولمعت عيناها السوداءوان في ضوء  
الشموع:

- إنه منزل مبهج...

ردت بشاشة خفيفة وكأنها رغم إرادته:

- أظن هذا... أجل... إنه مكان جذاب... لكنه ليس

أهم منزل في المنطقة كلها.

- أليس كذلك؟ أيتها الأخصى إذن؟

- إنه قصر عراي، منزل السيد جيروم فالكون... ألم تراه

أنت فتومك؟

كانت مشغلة بالحدث مع جيري مايسون. لذا لم تلاحظ  
أي منزل كبيرة وهما قادمان من المحطة. أحست بأن وصيها

عرف هذا، لأنه اتسم هازئاً لكنه تابع حديثه بهدوء بارد:

- إنه قصر قديم، انكليزي الطراز، مبني على مساحة

واسعة. لقد حفر انديان مشون إيمان الحرب الأهلية، لكن كان

لقصر عراي العناية الكافية فحافظ على كماله... كانت تملكه

عائلتي منذ مئات السنين.

- ألا تملكه الآن؟

- لا.

وأكمل يسألها عن مدرستها فشرحت له أنها في مستها

الدراسية الأخيرة. فنظر إليها مفكراً:

- قار الوضوح... ستبلغين السابعة عشرة في أيلول، أليس

كذلك؟

- أجل... لماذا؟

أحست بالإطراء والتأثر قليلاً لأنه يعرف، ليس عمرها فقط

بل موعد عيد ميلادها. ما كانت العمة كارولين لتهتم أبداً بمثل

هذه التفاصيل:

- أترغبين في ترك المدرسة في عيد الميلاد؟

أدهشها ثانية بتفكيره لكن من حقها أن تُنشر بشأن

مستقبلها. فأجابت:

- لم أفكر في ترك المدرسة قبل الصيف القادم. مع ذلك

فتو لنت علامات جيدة في الفصلين الأخيرين فلن يكون هناك

حاجة للبقاء حتى الفصل التالي.

- وستعرفين النتيجة بعد أسابيع؟

- أجل.

- وهل ستجحين؟



- أجل . . . هذا إذا لم أتل علامة سيئة في اللغات . أفنك تعرف اللاتينية واليونانية جيداً؟  
فضحك:

- وما الذي يجعلك تعتقدن هذا؟ نعم أعرف لغات عدة لكنني ما اعتقدت الأمر مكتوباً علي وجهي.

- لا أستطيع أن أفتر كيف عرفت بالفيض . . . لكنك تعطي انطباعاً يوحي للمرء بأنك مثقف تعرف معظم الأشياء.

- في الواقع، أنا مضطر للتخفيف من هالة الثقافة هذه. لكن ماني كانت مؤمنة بأن وصفها له لم يكن مخطئاً. بعد لحظات من التفكير قالت:

- أنعمي أنه يمكنني ترك المدرسة في المبلاد إذا شئت؟  
- لا أرى ما يحول دون ذلك، سأكون هنا في الشتاء، وستكون هذه فرصة ملائمة لأستطيك ولأستفك اجتماعياً.

ردت بخجل:

- أظني سأحب هذا.

بينما كانا يتركان المائدة، دخلت خادمة لتقول:

- أنت مطلوبة على الهاتف آنسة.

- أنا؟ . . . اوه طبعاً . . . أتعدوني أرجوك؟

هز رأسه، مع أن عيبه الزرقاوين حددتا فيها بطريقة مستكبرة.

أرشدتها الفتاة إلى غرفة هاتف صغيرة وتركها، فالتفتت الهاتف وقالت متشوقة:

- ألو . . . أنا ماني بروكتر.

- مرحباً . . . تأخرت كثيراً في الرد، حتى بدأت أتساءل ما إذا

كان القول التهمك، وأدعى عدم وصولك إلى البيت.

- لا تكن سخيلاً . . . كنت أتعشى معه حين استدعيتني . . .

ثم ليس هناك حول . . . بل الوصي الذي عهدت إليه رجل رائع.

- مستحيل، لا بد أنك وصلت إلى منزل آخر.

- هراء! أنت لا تعرف عنه إلا ما يشيعه الناس محلياً، إنه

شخص لطيف جداً، رقيق ومتفهم. أتعرف أنه أزعج نفسه في

تحديد أجمل غرفة في القصر لي، فهو يعتقد أن علي الصغار أن

يتلقوا الدلال قليلاً . . . لا أنكر أنه جدي وساخر، لكن بطريقة

ساحرة و . . . أما زلت تسمعي؟

- اوه . . . أجل ما زلت معك.

- لكنك لا تقول شيئاً.

- طبعاً لأنني أفكر في ما تقولين.

- تفكر؟

- اوه . . . أفكر في ما تخبريني عنه من أوصاف جميلة.

كنت أفكر كيف استطاع أن يكتسب هذه الفضائل كلها في

ساعتين أو ثلاثة . . . أو بكلام آخر، ما هي لعبته.

- لا تسيء إليه بالقول سيد مايسون!

- اسم جيري لطيف!

- جيري إذن. لكنني لن أسمح لك بأن نصف وصيبي

بالتشريف. فلا بد أن هناك الكثير من الأفاويل المصاندة

والمعلومات المعرّضة عنه. اعتقد أنهم أساؤوا فهمه . . . لأنه . . .

- سامحيني على ضحككي . . . لكن التفكير في أن لربما

منار قلبس آسيء فهمه أمر يغمزني مرحاً ورجحاً في آن.

- إذا استعريت في المزاح المزعج هذا فسأقبل المساعدة.



فعاود الضحك بقوة وقال:

- لا.. لا تفعلني هذا. فلن أمزحك بعد. وأنا سعيد لأنك وجدته لطيفاً، وأتمنى أن يبقى هكذا طويلاً. لكن يا مائي.. لا تقبلي كل ما يقوله ويفعله بمعناه الظاهري. لا أريد أن أفعل المشاكل في بيتك السعيد.. لكن.. تذكرني ما قلته.. هل تفعلين؟

- حسناً.. طبعاً سأتذكر. على كل.. لقد سرتني اتصالك.  
- لا بأس في هذا.. كنت حقاً قلقاً عليك. اوه، على فكرة، وعدتني لينا بالاتصال بكم خلال اليومين القادمين لتطلب من الموافقة على أن تزورينا بعد ظهر أحد الأيام. وأتمنى أن يسمح لك بزيارتنا.

ردت مائي بمرح: سيكون هذا رائعاً. وشكراً لك.  
ودعته، ثم أقلت مائي السعادة. وعندها فقط تذكرت نظرة وصيها التي ألقتها عليها حين خرجت من غرفة الطعام لترد على المكالمة. وأحست بحاجة لتهيئة نفسها قبل أن تعود إلى لقائه مجدداً في غرفة الجلوس.

كانت الأنوار قد أضيئت، والستائر الحريريّة قد أسدلت.. وكان يستظهر إلى كرسى يقرأ، والقهوة على طاولة منخفضة أمامه، ثم نصب بعد ما إن دنت منه حتى رفع رأسه قائلاً بلطف:

- هلأ صيبت القهوة مائي؟.. من كان المتكلم؟

- جيري ميسون.

- وماذا يريد؟

- اوه.. يسأل ما إذا كنت على ما يرام.. و..

- كنت قلت إنه أوصلك إلى هنا شخصياً.

- أجل.. أوصلني إلى البوابة الخارجية.

- هكذا إذن.. وهل ظن أن شيئاً ما قد يصيبك في الطريق

الخاصة؟

- اوه.. لا.. إنه.. أنا.

- لا تخفي الحليب في قهوتي أرجوك.. نعم.. تابعي..

- حسناً.. إنه يعرف أنني قادمة إلى قصرك للمرة الأولى،

وأسي.. كنت، متوترة قليلاً و.. و.. وعدتني بأن يتصل

بلافتان.

- كان عليه أن يطمئن عليك.

تأول منها فنجان القهوة بيد ثابتة. أحست للحظات بأنها

حسنة. ثم تذكرت أن دوائها ودوائ جيري طبيعية. فرفعت

حسرها إليه:

- أتمنح في أن يتصل بي؟

لرشف قليلاً من قهوته مفكراً:

- حسناً يا عزيزتي. لن أعب دور الوصي الصارم.. لكنني

أصل ألا تعقدي صداقات عابرة عادية على أساس غير رسمي

هكذا. فجيري ميسون شاب مخادع مستهتر.. ولا أريده أن

يحرص أن له مدخلاً إلى انديان ستون، لأنه من عليك فتقلك

بكت المغفل الصغير السخيف الذي يدعو سيارة، على كل لا

تود الصميم على هذه النقطة، لكن اعلمي أن ما يسهل التقاطه

يسهل تركه!

- لكنني لا أود تركه.. لقد أعجبتني.



ابنم بيروود:  
- حقاً؟

وتخلى بكل بساطة عن الموضوع. أما هي فتوقعت أن يعيد فتح الموضوع بعد قليل لكنه حين تكلم وجدته يتحدث بيروود عن المنطقة، ذكر لها أماكن محددة قد ترغب في رؤيتها أثناء الإجازة، فما كان منها إلا أن أنصت متجاهلة لموضوع جيري مايسون لأنها إن عادت إلى فتح هذا الموضوع ظننها مهتمة بالشباب كثيراً.

عندما كانت تنظر إليه وهو يتابع محادثتها بصوته الهادئ، الجميل النبرات، فهتت لماذا بخشاء جيرانه ويمتعضون منه. بعد إشارة منه إلى تعبها، أرسلها إلى النوم باكراً، دون أن يقبلها قبلة المساء ودون أن يقول شيئاً يدل على الترحيب بها. ومع ذلك أحست بأنه مهتم بها حقاً. وصلت إلى انديان ستون مع كثير من المخاوف والهواجس... لكن، في ليلتها الأولى تحت سقف وصيها الجديد نامت نوماً هنيئاً لا إزعاج فيه.

حين نزلت في الصباح التالي لتناول طعام الفطور، أصيبت بخيبة الأمل لأنها وجدته قد بكر في تناول فطوره وخرج. فسألت الخادمة التي أحضرت لها القهوة:  
- وهل تأخرت أنا؟

- اوه... لا يا أنسة... إن الساعة التاسعة هو أوان الفطور... لكن السيد ستر خرج على جواده متضجداً بعض الأعمال في مزرعته باكراً.  
- هل سيعود لتناول الغداء؟

عظرت الخادمة إليها باستغراب ثم قالت:  
- أتوقع تلك يا أنسة.

- ثم خرجت تركة مائي تمتع بطعامها وتفكر في السعادة التي ستمتع بها وهي في هذا المكان.  
- عند الظهر سألتها السيدة هدسون عما إذا كانت تريد رؤية السيد... لكن الطريقة التي اعتمدها جعلت الاقتراح يبدو واجياً جداً. ومع تلك صاحت مائي بإثارة:  
- اوه... سيدة هدسون، ما أروع هذا!

عند الصبحة الجندي جعلت السيدة تنظر إليها بروح التسامح. سألتها مائي باهتمام لم تحاول إحقاؤه:  
- أحضى عليك زمن طويل في العمل هنا سيدة هدسون؟  
- أجل أنسة بروكتر... جئت للعمل هنا، قبل أن تأتي والدة السيد ستر إلى القصر، وذلك في عهد والدة الأنسة كارولين، صديقتي.

- يا إلهي سيدة هدسون! إن هذا لمثير للاهتمام!  
بدأت الدهشة على السيدة وهي ترى نظرة الفتاة المنهجة بشأن واجباتها وقالت:

- من المثير للاهتمام دائماً أن تعيش حياتك في منزل رائع، بين أناس مثقفين.

- صحيح... ما عنيته إن من المهم التعرف إلى مختلف حوالب عائلة. أكنت تعرفين العمدة كارولين معرفة جيدة؟  
- أجل أنسة مائي... أعرفها كما لم أعرفها أحد قط.  
- ألم تكن صعبة المراس؟  
- لا.



- أظنها كانت أكبر من السيد ستار بكثير؟

- طبعاً.. كانت شابة حين ماتت والدتها.. وكانت كاملة النضوج حين تزوج والدتها ثانية.. وهذا كمت المشككة.

- أتعين.. أنها لم تتفق مع الزوجة الجديدة؟

- لم تكن في الواقع تتفق مع أمها التي كانت فائقة الجمال. وحين تزوج والدتها من جديد امرأة جميلة كأماها.. كان هذا ضربة قاسية لها، والآن هيا لأريك المترول، آنسة ماني.

- أوه.. لكن سيده هدمسون، هذا مشيراً لرجوك حديثي بعد عن تاريخ الأسرة... إذ أشعر كأنني أقرأ كتاباً.

ما جذب اهتمام ماني أن العمه كارولين، قدمت لها ككائن بشري وكفنانة عادية. ابتسمت السيدة، فقد رضي علي ما يبدو غرورها لأنها وجدت من يصغي إلى كل كلمة تقولها.

- تعالي معي إلى غرفة الجلوس الشرقية، لأريك بعض الصور. وعتدها ستفهمين الوضع أكثر.

رافقها ماني باندفاع إلى غرفة جلوس طويلة الشكل أنيقة تقع في مؤخرة المترول. وقد بدت، من مظهرها الأبيض المعطى بشرائف، مهجورة لا تستخدم.

- كانت هذه الغرفة تستخدم كثيراً في عهد والد السيد ستار حين كان يقيم العنيد من الاستيالات.. لكنها بالطبع كبيرة جداً على الاستخدام اليومي... وهذه والدة الآسة كارولين.

أشارت إلى لوحة معلقة فوق المدفأة.. فحدقت ماني غير مصدقة إلى المخلوقة الجميلة المنقحة بالحيوية التي أنجبت العمه كارولين، وقالت:

- لكن لا تشابه بينهما!

- كان هناك تشابه حين كانت كارولين أصغر سناً، لكنها في الواقع تشبه أبها أكثر. وها هو في اللوحة المقابلة.. إنه والد السيد ستار كذلك.

قلت حتي اهتمامها إلى لوحة رجل وسيم رمادي الشعر، ظهره يطل على النسلط لكنه لا يملك جمال وصيها.. قالت باندفاع:

- يبدو أنه تمتع بالزواج مرتين من امرأتين جميلتين.  
- لن أقول هذا آنسة ماني، إن كلامك يشير إلى أنه تزوجهما في وقت واحد.

فضحكت ماني:

- لم أفصد هذا.. بل قصدت أن العمه كارولين لم تكن تتوقع منه أن يتزوج امرأة تختلف عن زوجته الأولى، فلا بد أنه كان يحب النساء العثيرات المرحات.. واعتقد أنه كان يملك مالا كثيراً.

- وهذه السيدة ستار الثانية قرب الناقلدة، إنها صورة رسمت بالحجم لرأسها، لكنها تشبهها كثيراً.

- لها قسماات السيد ستار.. السيد ستار الحالي أعني.  
- لكنها لم تكن تشبهه في الطباع. كانت طائشة لعوب ورائحة جذابة، وحفوداً قليلاً، كقطة مدللة.. لم يكن بها شيء من...

صمتت السيدة قليلاً تبحث عن الكلمات المناسبة.. ثم بدا وكأنها أحست بأنها كشفت الكثير عن مخدومها، إضافة إلى أسرارها.. فقالت متجهمة:

- لم يكن لها تصميم السيد ستار.



- ألم تصق السيدة ستار الثانية والعمة كارولين؟

- لا... أترين، كارولين لم تكن شخصاً متهوراً... وقد شهدت الكثير من تهور أمها الخطير... ولم يكن السيد ستار يرفض شيئاً لزوجته الأولى أو الثانية. ثارت مشاكل كبيرة فترة، ثم يبدو أن الأنة كارولين منّت منها، فتزوجت فجأة ورحلت... كان رجلاً لطيفاً، لكنه ليس غنياً.

- أعرف هذا فقد كان شقيق أسي الأكبر، وهو ما كان يملك المال ولم يحدث أن ملكه أحد في عائلتي.

وضحكت... فنظرت إليها السيدة هدسون باستغراب. لكن وجهها المتجهم استرخى قليلاً أمام ضحكها. وقالت ببطء:

- أفكر أحياناً في أن الناس سيكونون أسعد إذا كانوا غير أغنياء شرط أن يملكوها من القليل. كان لهذه العائلة في ما مضى مالاً وفيراً.

- أجل... كانوا يملكون قصر غراي...

- من أخبرك؟

- السيد ستار... ليلة أمس.

- صحيح؟ إنه لا يتكلم عن هذا عادة.

- أشعر بالأسى لأنه لا يملكه الآن؟

- ليس لدي فكرة أنة ماني.

- متى خرج من يد العائلة؟ في عهد السيد ستار الأب؟

- أوه يا عزيزتي لا... حدث ذلك منذ زمن بعيد في بدايات القرن الماضي، أيام الثورة الصناعية، حين كانت عائلة فالكون حديثة العهد والثراء... وكانت عائلة ستار تتلاشى يومها، فاشترت عائلة فالكون كل شيء في الجوار تقريباً. واضطرت

عائلة ستار للانتقال إلى هنا.

- وهم هناك منذ ذلك الحين؟

- أجل... خلال فترة زمنية معينة كان من دواعي الاهتمام بشرف العائلة أن يعاول كل جيل استعادة قصر غراي. لكن رغم استعادة العائلة الثروة والعافية من جديد، إلا أنها لم تبلغ القدرة على استعادته... وكان الجد قد أوشك على تحقيق الحلم العائلي. وأستطيع القول إنه لولا زواج ابنة من امرأتين طائشتين لاستطاع الجيل التالي فعل شيء... لكن لم يعد هناك أمل الآن. من الأفضل الآن أن تكمل دورتنا على سائر أرجاء البيت.

وكان أن لحقت ماني بالسيدة من غرفة إلى غرفة، تشرح لها تاريخ النديان ستون الساحر. لكن ما من شيء قصته عليها مديرة المنزل كان مشيراً كتاريخ اللوحات الثلاث وأصحابها.

فيما بعد تركت ماني حرة لتستكشف الأراضي حول المنزل بنفسها، وفي هذه الأثناء ذهبت السيدة هدسون لإكمال واجباتها. وبينما هي في تجوالها اكتشفت، كما أملت سابقاً، شرفة ساحرة خلف المنزل تمتد أمامها مناظر ساحرة من المروج والحدائق.

قد يكون أي إنسان راضياً بالنديان ستون منزلاً حتى وإن كان يرغب في استعادة أمجاد قصر غراي، وما خصوم العائلة، ومنافسوها إلا منافسون نظريون.

عرفت في الاستكشاف حتى نيت الوقت ولثما حدثت أن نظرت إلى ساعتها وجدت أن وقت الغداء قد حلّ تقريباً، وأنها إذا لم تسرع في العودة ستأخر... فسارعت عبر حديقة الزهور،



- هذا هو السيد جيروم فالكون... جيروم هذه الشاية  
الخاصة بالحوية هي من عهد إلي برعائتها.

• • •

ثم مشت على المرجة، أملة ألا يكون من الخطأ السير على  
العشب الطري. وعندما دخلت المتزل من باب الردهة الجاني  
كالعاصفة كانت أنفاسها مقطوعة، في هذه اللحظة بالذات خرج  
وصيها إلى باب غرفة الجلوس متسماً رافعاً حاجبيه. فسأته  
مالي:

- اوه... مرحباً... هل تأخرت؟ هل أيقنتك متظراً؟  
رد بيروود ماداً يده إليها:  
- لا... أبداً.

كان استدعاؤه الودي لها واضحاً فسارعت إلى جانبه  
بتشوق. وقالت:  
- انقذتك وقت الفطور.

ولأنه بدا لها كما يجب أن يكون الوصي، لا كما كانت  
العمة، رفعت له وجنتها ليقبلها. برز في عينيه تعبير مدهول،  
ثم عاد إليه جو المرح الساخر، فأحس رأته وقبلها بيروود قائلاً:  
- هل انقذتني حقاً؟ هذا رائع منك. تعالي قابلي أحد  
جيراني.

جذبها إلى غرفة الجلوس واضعاً ذراعه حولها وهناك  
وجدت رجلاً طويلاً، أسمر، ضخم الجثة، يقف حاملاً كوباً في  
يده، ويبدو عليه الاهتمام بما سمعه من حديثهما.  
وكان مثل مضيفه يرتدي ملابس ركوب الخيل... وكان  
وسيم الطلعة، بشكل رزين.  
قال تريفور متار باهتمام:



بالنسبة لمائي تجربة اجتماعية، لذا شعرت بالخجل، وتمنعت  
عن المشاركة في الحديث.. لكن السيد فالكون، ووصيها، كانا  
مصممين على جذبها إلى مواضيع تهتمها.. ووجد الضيف نوعاً  
من السذاجة الساحرة في كل ما كانت تقوله.. ولمح مرتين إلى  
أنها فتاة ذكية، وأراد الاستفهام:

- أتركيبين الخيل؟

- لا.. لم أتعلم قط ركوب الخيل.

- اوه.. يجب أن نغير هذا الواقع. يجب أن نسمح لي  
بتعليمها تريفور..

رد وصيها دون جهد يذكر:

- لا.

ف نظرت إليه مائي بسرعة ونسأله: فأردف وكأنها غير  
موجودة:

- إن رغبت في تعلم الفروسية أعلمها أنا.

اعتلى العيوس وجه جيروم فالكون وكأنه ولد صغير،  
وقال:

- عمك تريفور يريد احتكار المرح لنفسه.

سارع الوصي بقول:

- أنا لست عمها تريفور.. فما نحن بقريين، كان حال

مائي في غاية الغباء فتزوج كارولين، إن هذه هي الصلة الوحيدة  
بيننا.

- حسناً هذا يجعلك عمها بطريقة غير مباشرة.

سارعت مائي ترد مسالمة:

- إنه لطف منكما معاً أن ترغبيا في تعليمي الفروسية.. وأنا

### ٣ - رجل خطير

كانت مقتنعة بأن ليس هناك من صغينة بين ممثلي العائلتين  
الحاليتين، لكنها دهشت قليلاً عندما رأت أن أول من قدمه إليها  
وصيها هو مالك قصر غراي.

ربما بعد أن التقيا في الترو على ظهر الجياد، فكر تريفور  
في أن يدعو جاره لتناول العشاء.. وها هو الجار الآن، يمسك  
بيدها وينظر إليها بإعجاب صريح أريتها قليلاً. وقال معلقاً:

- أنت لن تبعد هذه الفتاة ثانية إلى المدرسة تريفور؟

- لا.. لها أن تلعب إذا شامت أو أن تتروك عند حلول  
الميلاد.

- فلنختر ما تريد هه؟ يبدو أنها تعرف ما تريد.

فابتسم بخجل وقالت:

- يعتمد كل شيء على نتيجة الامتحانات.

فقال وصيها متسماً:

- مائي تعني تماماً ما تريد من التعليم في هذا الوقت.

- اوه. إصحبها إلى المدينة، ولنصرح قليلاً وعندها لن تفكر  
ثانية في العلم.

- حسناً.. سنرى.

وتقدموا إلى غرفة الطعام.. كان الاحتفال غير الرسمي



أجد صعوبة في تقبل ملذات هذه العطلة دفعة واحدة.

فقال الوصي:

- إن هذا لغصن زيتون رائع مائي... ولعل عطلتك تكون

كما توقعت.

ردت مائي بلهفة:

- لي كل الثقة أنها ستكون كما أريد. للمرة الأولى لا أحب

العودة إلى المدرسة.

فقال السيد فالكون:

- لا تعودني إذن... وصيك يقول إنك لست بحاجة للعودة

إلا إذا رغبت.

- اوه... بل يجب أن أعود ولو لفصل واحد، حتى وإن

قررت تركها في الميلاء.

- لماذا؟

- يجب أن أكسب بعض العلم... ثم...

وجدت صعوبة في شرح ما تريد، فتبدل وضع الإنسان من

حالة إلى أخرى لأمر صعب مرعب.

سألها وصيها بهدوء:

- ثم ماذا مائي؟

- حسناً... كانت المدرسة دوماً بمثابة حياتي كلها.

فاطمها السيد فالكون:

- وماذا عن العطلات؟

فقاطعه تريفور شارحاً:

- ما كانت عطلاتها مميزة... هيا تابعي مائي.

فاطمعت متوترة قليلاً:

- إن ترك المدرسة، دون سابق إنذار... و... بدء نوع

جديد مختلف من الحياة... سيكون...

فاطمها وصيها ثم أردف ما تفكر فيه:

- مزعجاً؟

فقال السيد فالكون بدهشة حقيقية:

- يا إلهي! ظننت أن الناس جميعهم يشوقون إلى ترك

المدرسة حالما تسنح لهم الفرصة بذلك.

فاطمعت مائي:

- اوه لا! خاصة حين تمثل المدرسة كل شيء مألوف

لديك...

فقال وصيها:

- لا داعي إلى القلق عزيزتي... فتخذي قرارك بنفسك.

- شكراً لك.

وبدا الشائسر على وجهها حتى أظهر السيد فالكون

الاستخفاف وكان هناك شيئاً لا يوافق عليه، لكنه قال:

- لقد أدليت منذ برهة بصوتك بشأن ترك المدرسة أنت

مائي. سأكون في الخريف هنا لأوفر لك وقتاً طيباً.

شكرته مائي مبتسمة، لكن إشرافها لم يكن كما ظهر أمام

وصيها. وبعد أن انتهى الغداء ودعهما السيد فالكون وغادر

لشأنه. فسألها تريفور ستر وهو يقف أمام طاولة مكتبه:

- حسناً... ماذا فعلت في الصباح؟

جلست مائي قرب النافذة وراح هو يتفحص رسالتين وصلتا

منذ هنيهة... أدارت رأسها مبتسمة وقالت إن السيدة هدمون

جالت بها في أرجاء المنزل ثم خرجت بعد ذهاب السيدة



لستكشف الأراضي المحيطة... فعلق قائلاً:

- اوه... صحيح... فالسيدة هدمون تحب التحدث عن المنزل والعائلة إلى كل من يصفي... فقد أمضت معظم حياتها هنا. أتعلمين هذا؟

- أجل، أخبرتني... وبنات لي الأمر مثيراً للاهتمام.

- وهل فعلت؟

- إنها حقاً لطيفة... أليست كذلك؟

- اوه... بلى.

وتابع قراءة الرسالة، وراحت ماني تتأمل الحديقة. ثم قالت

بعد صمت مبالغ:

- أعنيت حقاً قولك بشأن تعليمي الفروسية؟

- طبعاً... أتريدن أن تتعلمي؟

- أجل أرجوك، أظني سأحب الفروسية.

- حسناً... سيكون لك جواد.

- اوه... لكن...

- ماذا؟

- هل ستشري لي واحداً؟

- أجل... فليس هنا ما يناسبك... إذ ليس لدي في

المزرعة إلا جوادان ومهرة.

- لكن أماً يقتضي شراء جواد مائلاً كثيراً؟

- سعر الحصان الجيد مرتفع... ما بالك؟

- حسناً... لا أريد أن تصرف مبلغاً كبيراً لتسليتي فحسب.

ثم ما بسعدني دون جواد.

وضع الرسائل من يده، ودنا منها إلى حيث تجلس:

- عزيزتي ماني... كان لكارولين بكل تأكيد تأثير كبير عليك. يا طفلي سيكون لك مطبخك إذا شئت، فأنا قادر على دفع ثمنها.

سألت بريئة:

- صحيح؟

- بكل تأكيد... فأنا رجل ثري.

- ثري؟... لكنني ظننت؟...

- ماذا ظننت؟

- تصورتك عجزت عن شراء قصر غراي بسبب المال.

- ليس للمسألة علاقة بالمال لسوء الحظ بل بجيروم فالكون

الذي لا يريد البيع.

- اوه... هكذا إذن... إن الأمر أكثر تعقيداً.

- أكثر تعقيداً؟ وكيف؟

- أعني، إن لم يكن المال هو السبب، فمن غير المجدي

التكبير في استعادة القصر.

- ليس بالضرورة... يوماً ما سأجد شيئاً يحتاجه فالكون

كثيراً عندها ستكلم عملياً.

قلت بمزح... لكنها عادت فعلمت أنه لم يمزح بل في قوله

أهمية اللغة، حتى عجزت عن الرد، لكن وصيها على ما يبدو

ثم يكن ينتظر منها قول شيء... وسرعان ما استرعى اهتمامها

دخول خادمة تقول إن السيدة مايسون موجودة هنا للزيارة.

فسارع يقول بعد صمت لحظة:

- اوه... فلندخل فوراً... أرجوك.

حين خرجت الخادمة نظر إلى ماني بريئة جعلها تحمر.



حجلاً. لكنه لم يعلق، وما هي إلا لحظة حتى دخلت السيدة مايسون.

لينا مايسون كانت جميلة كما يجب أن تكون سيدة. فهي جميلة كإبنة الثلاثين مع أنها تناهز الآن الأربعين.

وبينما كانت تقدم مادة يديها مبسطة ملامحها الفاتنة، لاحظت ماني ما عناه ابنها جيري بقوله «أنيقة». لم يحدث أن شاهدت مثل هذا الشعر الأسود الجميل أو مثل هاتين العينين البضجيتين قبل الآن.

ويبدو أن مضيغها، غير الراض، رق لها قائلاً:  
- عزيزتي لينا.. يا لسحرك! مضى زمن طويل على زيارتك الأخيرة لأنديان ستون.

لم تكن ماني تعتقد أن وصيها والسيدة مايسون على وفاق إلى درجة التخاطب بالأسماء الأولى، وتقدمت مطمنة كي يقدمها، فتأملت لينا باهتسامة إعجاب:

- إذن هذه هي فتاتك الحلوة... أوه تريفور دفعني الفضول بعد حديث ابني عنها إلى المجيء لزيارتكما اليوم.  
فرد تريفور سثار:

- يجب ألا تديري رأسها بكلامك هذا حقاً.. فأنا جديد على واجبات الوصي ولا أحري كيف أرهاها إن اغترت بنفسها.

- لكنني على ثقة من فتوتك على رعاية أي كان. فأنت تعرف تماماً كيف تدبر أياً كان حول إصبعك، وتعرف كيف تصل إلى ما تريد.

- إن فكرتك عن سلطتي لمبالغة كبيرة.  
لم يكن لابتهامه الباردة أثر على زائرته التي قالت:

- حسناً.. أنوي اليوم أن أدير أمراً ما حول مختصري...  
أتأذن لي باستضافة ماني في بيتي يوماً كاملاً قريباً؟  
رد تريفور بنعومة:

- طبعاً.. هذا لطف منك.

تساءلت ماني لماذا إذن هذا الضجيج كله بشأن سماحه لها بزيارة «نشارمر» منزل آل مايسون؟ قالت السيدة مايسون بعزم:

- هذا رائع. والآن فلنحدد اليوم يا ماني.

لكن.. قبل أن ترد ماني سارع ليقول:  
- لن نحدد الوقت قبل مضي وقت قصير على العطلة.. مر على ماني فصل دراسي قاسٍ، وهي متعبة وتريد الاسترخاء في الوقت الحاضر. لكن فيما بعد ستورركم طبعاً.

ردت الزائرة باستنكار رشيق:  
- هراء.. إن هذه الطفلة نشع وصحة ونشاطاً.. حقاً لا اعتقد أن فصلاً دراسياً قاسياً قد يؤثر فيها.

- سيكون أمامها الكثير من الوقت للتمتع لاحقاً. لن تجديها إلا راغبة في تأخير هذه الزيارة في الوقت الحاضر.. اليس كذلك عزيزتي؟

والثقت إليها ليجعد ماني بنظرة الباردة الزرقاء. فأدركت برعب حقيقي أنها تواجه وجهاً آخر من أوجه وصيها، فهو كما يبدو لا ينوي أبداً أن تتم تلك الزيارة التي لا يطلب تأجيلها فقط بل يحضر لقطع علاقتها بجيري، وذلك دون أن يغضب السيدة.

إذا وافقت على التلطف بالكلمات التي يعلبها عليها.. فهو سيعرف، كما ستعرف السيدة مايسون، أنها أقرت بالهزيمة.



وعرفت فجأة أنها لن تستسلم.. ولن تسمح بأن ترفض صديقها لأن نزوة وصيها تدعوها إلى تركه.

فكان وعلى الرغم من خفقان قلبها العنيف، أن قالت بثبات وتحد:

- لا.. ميد ستار، في الواقع أحب أن أزور السيدة مايسون في يوم ما من هذا الأسبوع. فليست نعمة أبدأ.

لم تدرك كيف انتقلت حدة غضب الوصي إليها.. فما عرفت إلا أن فشمريرة من استيائه وصلت إلى قلبها. ومع ذلك قال:

- إذا كانت هذه مشيتك فليكن ذلك، حدي اليوم الذي يناسب السيدة مايسون.

فصاحت السيدة مايسون دون أن نخفي سعادة النصر:

- فلنكن الزيارة يوم الجمعة.. كوني عندنا في ساعة مبكرة حتى نتعدى وأبقى إلى ما بعد العشاء.

لكن إحساس مائي بالانتصار كان مكبوتاً بشكل رهيب:

- شكراً لك كثيراً. يوم الجمعة موعد مناسب.. على الأقل..

التفت إلى وصيها وكأنها ترجوه:

- أليس مناسباً؟  
- طبعاً هو كذلك.

أحست مائي بإحباط. أما السيدة مايسون فبعد أن حققت ما تريد، استأذنت طلباً للمغادرة وقالت لمائي بلطف:

- سيأتي جيرى ليصحبك يوم الجمعة عزيزتي.  
ردت بسرعة، نحس بأن رؤية جيرى تريد من توتر وصيها:  
- لا داعي إلى مجيء، إلا إذا كانت المسافة بعيدة.

- اوه.. لا تريد عن ميل.. أليس كذلك تريثور؟  
- لا.. إنها لا تريد عن نصف ميل. خاصة إذا سارت مائي

في غابة الصنوبر.  
- اوه.. تلك الطريق.. لكن أتعرف الطريق؟

- سأدلها عليه بنفسي.  
- حسن جداً.

وخرجت السيدة تخشال وكأنها قطعة راضية عن نفسها.

أما تريثور فتجاهل وجودها، ثم اتجه نحو مكتبته دون أن يوجه كلمة لها. سعت بعد فترة، وقلبي بنفطر غمماً، إلى صحبة السيدة هدسون قائلة:

- هل لي أن أدخل وأتحدث إليك سيدة هدسون؟  
- بكل تأكيد مائي.. ادخلي.. اجلسي على هذا المقعد

الكبير هناك واستريحيني.. أين السيد ستار؟  
- في مكتبته.

- سيهتم بمراسلاته على ما أتوقع.  
- لا.. فأنا أظنه غائباً مني سيدة هدسون.

- اوه لا يا مائي! لا تظني هذا. قد تظهر عليه أحياناً ميماء البرودة واللامبالاة. لكن هذا لا يعني شيئاً.

- سيدة هدسون.. لماذا لا يحب عائلة مايسون؟  
- ولماذا لا يحبهم؟ السيدة مايسون جارة قديمة هي معي

على وفاق.  
- لكنه لا يريد أن أصادقهما.

نظرت إليها السيدة بفضول.. ثم أجابت:  
- ولماذا لا يريد؟



- حين أنت السيدة مايسون الآن نطلب مني زيارتها بعد الغد، بدل كل ما في وسعه حتى أرفض.. وعندما لم أرفض.. غضب.. أعرف هذا.

- ربما كان من الأفضل أن ترفض.

- لكنني أريد الذهاب سيدة هندسون. وليس هناك ما يحول دون ذلك، أو على الأقل لا أجد شيئاً.

- لن يشرح لك السيد ستار أسباب ما يفعل ويتوقع منك الطاعة دون أن تسألني.

صاحت ماني ساخطة:

- لكن هذه طريقة فظيعة للحياة. إنه لطيف معي في كل شيء تقريباً.. لكن ليس عليه أن يتوقع مني طاعة عمياء.

ردت السيدة بارتباك:

- ماني.. السيد ستار رجل يحب تنفيذ ما يريد على طريقته.. هو سيكون لطيفاً معك بشأن أشياء كثيرة. ولكنه لن يرضى أن تعارضيه في أي شيء.. ومن الأفضل أن تدركي هذا حالاً. وما ذلك إلا لسعادتك وراحة بالك.

ما كانت ماني من النوع الثائر المتمرد، لكن فكرة الطاعة العمياء، أثارت نعقلها، واستقلاليتها الطبيعية. كما أن الطاعة العمياء، تعني التخلي عن صداقتها لجيري مايسون. وهذا ما لبست مستعدة له أبداً. قررت عدم متابعة الحديث.

حاولت أثناء العشاء وفي اليوم التالي كله إيجاد فرصة للحديث مع وصيها، لكن الفرصة لم تكن إطلاقاً، وهي لن تطيق أن تزيد غضباً.

لكن كان هناك أكثر من الخوف من غضبه.. فقد كانت

تحس بحاجة يائسة لاستعادة علاقتها السابقة.. فهي تنوق إلى سخرته وتسامحه الآن وعلى الأخص إلى رضاه أو إلى اهتمامه بها.

لذا، دهشت حين قال لها عند الفطور يوم الجمعة:

- ستدعين اليوم لزيارة السيدة مايسون؟

ردت بتوق مقطوع النفس:

- أجل.. قلت إنك مترشديني إلى طريق مختصرة.

- أجل.. طبعاً.. متى تودين الذهاب؟ في الثانية عشرة؟

- إنه لوقت مناسب.

- حسن جداً.. سأقضي معظم الصباح في مكتبتي..

وعندما نهين نفسك ادخلي علي وأعلميني.

لكنها، حين سمعت إليه، وجدته يقف في الردهة منتظراً،

نظراً بعجاب متقد إلى تنورتها الحمراء وقميصها الأبيض.

- من كان يختار ثيابك في الأعوام الماضية؟ ليس كارولين

على ما أعتقد؟

- أوه.. لا.. فأنا اخترت معظمها.

- هاه.. إن ذوقك رقيق ومنهوج.. حين تقصد المدينة في

الخريف سنشري لك بعض ثياب السهرة.

نظرت إليه بدهشة:

- لكن.. أقررت أن أرافك؟

- أخالك بعد أن تعرفي نتيجة الامتحانات، وبعد أن تعثادي

على فكرة انتهاء أيام الدراسة، ستكونين على استعداد للموافقة

على الذهاب معي وعلى ترك المدرسة.

أحست بالامتنان والتأثر لأنه بدأ مسروراً من فكرة مرافقتها



له كما أنه بطريقة ما يفضل أن تراقبه، ولا تريد أن تخاطبها  
بإغضابه ثانية، فقالت:

- أرى أنك على حق.

عندما سارا في حديقة الورود في اتجاه غابة الصنوبر  
لاحظت أن تسامحه ما زال يرافقه، فقالت:

- أما عدت غاضباً من رغبتني في زيارة السيدة مايسون؟

- لكنني ما غضبت منك.

- بلى غضبت! وجعلتني أشعر بالؤس.

- صحيح؟ حسناً.. لا تتوقمي مني أن أحزن لأن غضبي أثر

فيك. ويجب أن تعلمي أن ما أغضبني هو إصرارك على صقل  
صداقتك مع الشاب مايسون، رغم معارضي.

دست ذراعها بذراعه، فبدت الدهشة عليه قليلاً:

- لكن سيد منار.. لقد أعجبتني ما رأيته من، ثم ليس هناك

من شيء خطير ضده.. أهنأك؟ أعني.. أن علي الوصي أن  
يحب أصدقاء الموصى به جميعهم ما داموا محترمين وشرفاء..

- أرى أنك درست واجبات الوصي، فماذا عن واجبات

الموصى به؟ أليس عليك إظهار بعض الاهتمام برغباتي؟

- أوه.. بلى، وأنا أفعل.. أعني.. سأفعل! فأنا أريد

جاهدة أن أرضيك. لماذا لا تتوصل إلى حل وسطي؟

ابتسم قليلاً على هذا التصريح الساذج.

- أخشى أنني لست معتاداً على الحلول الوسطى يا ماني.

فصمت، وحين نظر إلى وجهها العبوس ضحك وضمها  
إليه:

- اسمعي يا طفلتي. لقد تركت كارولين حتى الآن طفلة،

لا تعي الدنيا. لكنني أريد أن تتخوسي غمار الدنيا لتتلقني فيها  
الدروس.. لن تبقي بعد اليوم تلميذة لا أهمية لها. فأنت فتاة

جميلة، ستصبح قريباً امرأة رائعة. فما دمت تحت وصايتي.  
سيكون لك وضع اجتماعي ومالي محدد.. و..

شبهت ماني وهي تسمع ما قاله:

- ماذا تعني بهذا؟

- أعني، حين يحين موعد زواجك، لن تكوني بشيمة مفلسة

إذ سأؤمن لك ما يناسبك و..

أصيت بالذهول والتأثر من كرم وصيها البارد:

- أوه! لم يكن لدي فكرة.. أعني.. ليس هذا ضرورياً

أبداً! فأنا لست قريبتك!

- لكنك تحت وصايتي.

فكرت ماني في أن البسمة التي اعتلت وجهه هي أروع

إشارة رأتها على وجه رجل فصاحت:

- أوه.. إنك حقاً لمحبوب!

وضغطت على ذراعه التي تمسك بها، فضحك:

- حسناً.. ربما أنا كذلك أجلك محبوبة حين تتصرفين

شكل لائق.

بدت الدهشة عليها:

- ألا أتصرف عادة بشكل لائق؟

- بلى.. أنت طفلة طيبة، لكن ما أحاول أن أفعله، هو أن

أجعل منك فتاة جميلة ثرية، ذات نفوذ معقول حتى تتزوجي

زواجاً رائعاً. لذلك أتوقع أن يكون لي إشراف على من

ستختارين من الرجال الذين ستقضين معهم أوقالك. وليس



جيري مايسون الشاب، على سبيل المثال من الفئة التي أريد  
منك معاشرتها.

صاحت مائي مقاطعة:

- بالله! أنا لم أتحدث إليه إلا ثلاثة أرباع الساعة، ولم أفكر  
فيه قط من هذه الزاوية.

- وأنا سعيد بماضي ذلك. لكن تذكرني أن المرأة تختار  
زوجها من الوسط الاجتماعي الذي تدور فيه، ويجب ألا  
تعييني منقلب المزاج غير متعلل، إذا أشرفت على اختيار من  
تعاشرين.

- أجل.. فهمت ما تعنيه.

- فتاة طيبة.. لقد تفاهمتنا الآن إذن.

لقد توصلنا على الأقل إلى تفاهم ما.. وقال إنه يظنها  
محبوبة.. ولأن هذا التمييز صادر عن تريفور ستار فهو كثير  
برأيها.

توقف في تلك اللحظات أمام حافة الغاية وأشار إلى حفل  
أمامهما:

- اتبعني الممر المحاذي للسياح، وبعد اجتياز الحقل  
انعطفي يمينا فوق المرجة، وعندها تكونين في الطريق المباشر  
إلى «شارمر»، هذا إذا لم يلقك جيري قبل هذا. ولا أحبه إلا  
قادمًا إليك.

- شكراً لك.

شكرته شكراً حاراً قبل أن يريت على خدما مودعاً ليعود  
أدراجه.

ما إن بلغت نهاية الحفل حتى وجدت جيري ينتظرها..

كانت البسة التي ألبست وجهه الذي لوحته الشمس ساحرة  
وصريحة.. مد يده لمساعدتها على اجتياز السياج.. ففكرت في  
ما قاله وصيها وإذا بها تجده على حق، فقد تقع أي فتاة في  
حبال جيري الجذاب. لكن لا داعي للقلق الآن، فلا شيء  
جدّي، وما هما إلا شخصان يتمتعان بصحة بعضهما بعضاً لا  
أكثر ولا أقل.

- سمعت أن لينا دافعت بشراسة يوم الأربعاء، وقد آزرتها  
مساعدة حليف في الداخل.

- أتقصدي أنا؟

ضحك جيري موافقاً:

- نعم أقصدك أنت. قالت لينا إنك كنت رائعة إذ أصورت  
ببرود علي أن لا سب يحول دون قضاء يوم مع أصدقائك.

ضحكت بدورها:

- لكنني أسقت لأنني اضطررت إلى معارضة السيد ستار  
الذي لا يود إلا ما هو في خيانة مصلحتي.. إنه لطيف معي  
ومحب. لكنني وجدت مبرراً لموقفي، دون أن أرغب في أن  
أكون صعبة المراس..

قاطعها جيري:

- لا بأس في هذا، فلا حاجة إلى تبرير تصرفاتك لي..  
لكنني مسرور لاتخاذك موقفاً، ولينك تواقطين عليه.

- أوه جيري، إنك تتحدث وكأنني سأواجه دائماً وصي.

- لكن هذا ما سيحدث إذا رغبت في الاستقلال بنفسك.

- لا.. أنت لا تفهم إنه عزيز وكريم.. ورائع.. حقاً.

- وهو ذكي جداً، لأنه أفنعتك بهذا كله.



- هذا غير صحيح! إنه ذكي نعم.. لكن لماذا تظهر الذكاء وكأنه أمر مخز.

- بسبب الطريقة التي تستخدمه فيها.. طبعاً.

- جيري! ماذا تعني!

نظر إليها رقيقها بقلق، وقال متجهماً:

- ألم يتبادر إلى ذهنك بعد ماتي، أن الومسي، رجل خطير؟

• • •

#### ٤- بين نارين

- لماذا تقول إنه خطير؟ كيف تستخدم هذه الكلمة ضد أي

إنسان؟

- لكنّها لا تستخدم ضد معظم الناس، ربما بالغت قليلاً في توجيهها إليه، لكن للأشخاص الذين لا رحمة في قلوبهم خطورة ما. ووصيك يا ماتي من هؤلاء الذين لا يعرفون للرحمة. ولا أفصد أنه خطر يتجول حاملاً خنجره في يده وقارورة أسيد حارقة في أخرى. لكنه إن أراد شيئاً، فلن يتردد في التضحية بمصلحة أي إنسان آخر.

- حتى.. وإن كان يجب ذلك الإنسان؟

- لا أخال تريثور أحب إنساناً قط.

صمتت ماتي بقلق، وبعد لحظات أمسك جيري ذراعها بطريقة لطيفة، وأخوية تقريباً. وقال لها:

- أعلم يا حلوتي المحبوبة، أنك تريدني أن أقول إنه قد يحبك. لكنه لن يحبك.. لذلك لا تعلمي روك بانتظاره لأنك شعرتين بخيبة الأمل.

- لكنه يحبني.. أعلم هذا. لا أستطيع أن أشرح لك كيف أو مدى اهتمامه بي وتسامحه معي، إن الناس لا يتصرفون بهذه الطريقة إلا إذا كانوا يحبون أولئك الذين يعاملونهم بهذا الود.



- بلى.. يتصرفون هكذا.. على الأقل تريشور مشار  
يتصرف. يريدك أن تتلقي به لأنه يعرف أنها الطريقة المثلى  
للسيطرة عليك، إنه يتخذ عاطفتك وسيلة. لكن قلبه بارد لا  
يعرف الحب.. وأؤكد لك أن بإمكانه فتنة عصفور فوق شجرة  
إذا صمم على هذا. فلا تتلقي به ماني.. سيحطم قلبك، قبل  
أن يرد إليك.

- اوه جيبي.. لا تقل هذا! المسألة كل المسألة أنني أشعر  
بالسرور لانتمائي إلى شخص ما.. وأود لو أنلقى الحب.

نظرت إليه بسداجة فقال يرزانة:

- سيحبك أناس كثيرون في حياتك ماني، وستكتشفين هذا  
بعد أن تتركي المدرسة وتخرجي إلى الدنيا.

- لكنني لم أترك المدرسة بعد.

وشرحت له البدائل التي تواجهها.. فحنها على ترك  
المدرسة فوراً. فابتسمت مرثاة:

- لكن لماذا؟

أحست بالإطراء لاهتمامه العميق بما تفعل.. وقال لها:

- لأنني ولينا ستكون في تسبرغ في الخريف. وإذا أحضرك  
إلى المدينة، فهذا يعني أن أمامي فرص كثيرة للتزهد معك في  
المدينة.

- حسناً.. إن نجحت في الامتحانات، يكن لنا هذا.. مع  
أنني أعتقد أن علي إعطاء إنذار فصل كامل أو دفع الرسوم، أو  
شيء من هذا القبيل.

- اوه لا تقلقي، فلن يفلس هذا تريشور ستار.. إنه مخلوق  
من مال.

- اوه جيبي.. تريشور ليس كما تصفها فأنا، لا أعرف أنه  
فائق الثراء. ألم يندّر أسلافه ثروة العائلة؟

- أجل.. أظنهم أحدثوا تقياً في الكيس الموروث. تقول  
لينا إن كل ما في انديان ستون كان يتدفق بالألحان الجميلة  
الغالية الثمن حين كانت طفلة.. لكن وصيك على ما يبدو  
أصلح كل شيء.. فله سمعة الساحر المالي.

- صحيح؟

في تلك اللحظة وصلا إلى بوابة «تشارمر» التي خرجت  
منها السيدة مايسون، وهي تبدو شابة في فستان حريري أزرق،  
فامتقبلتهما مرحبة بماني واضعة خدها الناعم على خدها بتقليد  
ساحر لقبلة لم تكن تعني لها شيئاً لكنها كانت مبهجة منعمة.

سرعان ما وجدت مالي أن الحياة في «تشارمر» تختلف جداً  
عن الحياة في انديان ستون.. وليس في تشارمر نقص في  
العمال، لكن لينا كانت تؤمن بأن تحب بدلاً من أن يخشاها  
الناس، وكانت على وفاق كريم مع خادمتيها والجنائتي، الذين  
بدا أنهم يعبدون الأرض التي نمشي عليها.

حين شرح جيبي لأمه إمكانية ذهاب ماني إلى تسبرغ مع  
وصيها، عبرت عن ظننها كذلك قائلة إن المدرسة مضبعة  
للوقت. لكن ماني قالت مبتسمة:

- لكنني ما زلت في السابعة عشرة.

- أجل.. ليس بالعمر المتقدم، صحيح.. لكنني كنت  
متروجة وحامل بجيبي في السابعة عشر من عمري.

- حقاً؟

دُهِشت لأنها لم تصور نفسها زوجة وأماً في هذه المرحلة



من نموها، فردت السيدة بابتسامة ساحرة:

- هذا صحيح.. وسخيف معاً. لكنني كنت جميلة حقاً.  
وانت جميلة كذلك، وأمل أن يكون لك تفكير السوي.  
ردت مائي بأنها لا تملك نصف خبرتها وتعلمها، وساد جو  
ودي محب بينهما. وقال جيري:  
- إذن، اتفقنا على أن تتركي المدرسة وتأتي مع السيد ستار  
إلى بتسبرغ في الخريف.

ابتسعت مائي:

- حسناً.. يبدو وكأن الجميع متفق على هذا.. السيد  
ستار موافق، وكذلك السيد فالكون.  
- أوه.. وهل التقت بفالكون.

وعلفت أمه:

- إنه رجل مقبول.  
- أظنه لطيفاً.. عرض علي تعليمي ركوب الخيل.

- يا لجرأته.. لعل تريفور حده.

- في الواقع نعم.

فضحك جيري:

- أوه.. أخبرينا ماذا جرى.

- لم يقل إلا أنه سيعلمني هو بنفسه.

- هذا عظيم! لا بد أنه مصمم على أن يأخذ العزّاب دورهم  
في صف الانتظار. ترى هل سيسمح لي بتعليمك قيادة السيارة؟  
كانت مائي على يقين من رفضه، لكنها تهربت بلياقة:

- فلنتريث حتى نرى ماذا سيعلمني هو. لم أصل إلى هذا  
المكان إلا منذ أيام قليلة ولا أعرف حتى الآن ما هي خطته.

قالت لنا مايسون مفكرة:

- أنا دهشة لاهتمامه بك. ليس لأنك لست جميلة مشيرة  
للاهتمام عزيزتي، بل لأن أحداً لا يتوقع منه أن يهتم بك  
شخصياً.

- صحيح؟

هذا ما كانت نظنه في أعماق قلبها، ولعل أكثر ما كانت  
تخشاه أن يفقد اهتمامه بها.

تابعت السيدة مايسون وكأنها تفكر:

- لو نظر إليك على أنك ذات منفعة له. لارتبطت مصلحت  
بمصلحتك، ولتفكر فيك ملياً. اعتقده سيزوجك زواجاً رائعاً.

فقال جيري:

- أجل.. لكنه «رائعاً» من وجهة نظره هو أم من وجهة  
نظرها هي؟

فسأته مائي:

- أليست الوجهتان متطابقتين؟

- ربما، لكن إن لم نتطابقا، فأعرف تماماً مصلحة من  
سترمي أدراج الرياح.. على كل، هل تحبين الخروج للتنزهة؟

ثمة أماكن رائعة.

فقزت مائي بفرح:

- أجل.. أحب هذا.

وابتسعت السيدة مايسون:

- أخشى أنني لست من هواة التنزه، فاذعبا وحدكما.

سأكون سعيدة، مع كتابي.

وكان أن انطلقت مائي وجيري وحدهما، سعيدين بصحبة



بعضهما بعضاً. تسلفا التلال المليئة بالأشجار خلف المنزل، وراحت مائي تخيره عن حياتها المتروسة وعن عزلتها التي عاشتها تحت وصاية العمّة كارولين. وقال معلقاً:

- أذكر أن لنا كانت تقول إنها باردة لا تهتم بأحد مثل الوصي الحالي.

- أبدأ. . . لست مثله.

- لكنهما كانا يكرهان بعضهما بعضاً كرهًا شديداً.

- هذا ما عرفته. أنا لا أقدر على كره أحد من البشر، أقدر أنت؟

- لا. . . لا أستطيع. . . مع أنني لست شخصاً عاطفياً.

فكرت مائي قليلاً في ما قاله ثم قالت:

- أكانا حقاً يكرهان بعضهما بعضاً أم كانت العمّة كارولين هي الحقود؟

- لا أعرف عمك كثيراً، كنت تلميذاً يومذاك، فلا أستطيع

قول شيء عنها أما. . . تريثور ستار فمخلوق عنيف مسيطر كل السيطرة على عواطفه. . . وأنا أسف.

ضحكت مائي. . .

- لا بأس في هذا. أظنني أوافقك الرأي، مع أنني لست

واثقة لمأذنا. . . يملكني إحساس خفي مضاد لما هو ظاهر منه، وأظن أن السبب واضح. . . والآن حدثني عن نفسك. . . تحدثنا بما فيه الكفاية عن أحوالي.

فابتسم جيرري، وصمت قليلاً وكأنه يفكر في ما قد يشير اهتمامها. فتذكرت عندها قول وصيها عن أنه مبهرج مخادع،

ولأنها تريد أن يدافع عن نفسه تافت أكثر إلى ما سبقوله:

- أيمكن أن أسألك أمراً شخصياً جداً؟ (سألك).

- أجل. . . بالطبع.

- سيبدو سؤالني وفحاً نوعاً ما. . . لكن. . . أتعلم لكسب رزقك؟

ضحك جيرري كثيراً:

- لا شناعة في سؤالك، بل طبعي جداً. فأنا لا أعمل شيئاً

أنتقي عليه أجراً، إذا كان هذا ما تعنين.

خاب أملها فنظر إليها بمرح وتساؤل:

- أيهمك الأمر؟

- اعتقد. . . إن على المرء أن يكسب عيشه من عرقه.

- لكنني، كما يقال، رجل لديه إمكانيات مستظلة يا مائي،

لقد ترك والدي للبنا حقوقاً في قسم من الأملاك وأورثني الباقي.

- لكن. . . ألا تقوم بعمل غير العيث؟

- اوه. . . يا للسماء! أنا أعمل، إذا كان هذا مقصدك.

- طبعاً هذا ما أقصد. . . ماذا كنت تظنني أعني؟

- اوه. . . فهمت! كنت تحسبني شاباً فاسداً وغير مسؤول،

لا يعمل شيئاً لصالح نفسه أو لصالح الناس؟

هزت مائي رأسها، فتابع:

- ومن أين لك هذه الفكرة؟

بدا لها السؤال دفاعاً عن الضرر، فصمتت دون أن تذكر

صاحب هذه الفكرة لكن جيرري أردف:

- سأحدثك عن عملي إذا أحببت. إنه مشير للاهتمام بشكل

مفرط مع أنه ليس هكذا لمن يعرف عنه. فأنا أنظم النوادي



الرياضية للشباب في الأحياء الفقيرة من المدن الكبيرة.  
 روح المزاح والمرح غادرت وهو يتكلم، ولاحظت مائي أنه  
 فعلاً يتحدث عن شيء يهمه جداً. فقالت:  
 - اوه جيبي... تابع... فهذا مشير.  
 ابتسم، فأحست بالذنب لأنها اتهمته بالعبث.  
 - أقوم أحياناً بالتمويل بنفسي... على الأقل في البداية،  
 لكنني أركز على جعل النادي مكتصياً مادياً خلال سنة تقريباً فعلى  
 الناس والمنظمات المشاركة في دعم أنفسهم ونوادهم.  
 - وهل ستقوم بمثل هذا العمل أثناء وجودنا في تسبرغ؟  
 - أجل... أنودين رؤية ما أعمل؟  
 - سأحب هذا.

لقد كان وصيها شريفاً حين لُتمح إلى أن جيبي مسرف  
 عاطل عن العمل! لماذا هذا الظلم؟ أيعتقد حقاً أن عمل جيبي  
 ليس عملاً حقيقياً؟ أم فستر الوضع حسب رأيه لأن هذا يناسبه؟  
 كانت تفتش بياس عن رد... لكن جيبي خلال هذا استمر  
 شارحاً لها أعماله الماضية وخططه المستقبلية. فأصفت إليه،  
 وعلقت، في محاولة منها للتخلص من قلقها الذي سرده  
 تصرفات وصيها.

وصلاً أثناء سيرهما إلى أرض تكتظ بالأشجار، فطلب  
 جيبي التوقف، ليريهما مختلف معالم المنطقة. فهناك إلى  
 اليمين، كان منزل «انديان ستون» الذي بدأ كلعبة أطفال. وعلى  
 بعد ميلين منه يقع قصر غراي. فعلقت برزاة:  
 - أجل... إنه أروع من انديان ستون.  
 فابتسم جيبي:

- أما فكرت من قبل في أنه أروع من انديان ستون؟  
 - اوه بلى... أخبرني السيد أنه كان ملكاً لعائلته وأطنه غير  
 سعيد لأنه فقد هذا القصر.  
 - صحيح؟... انظري، تلك هي الطريق التي سلكتها.  
 - وما تلك الطريق العريضة يساراً؟  
 - إنها تفضي إلى الجانب الآخر من الجبل. لكنها نادراً ما  
 تستخدم وقد شقوا طريقاً بديلة على مستوى منخفض يمتد حتى  
 بحيرة ميتشغان التي لن تبدو لنا من هذا المكان.  
 مد يده إليها، وقد ظننا تريد التقدم في السير:  
 - أن لنا أن نعود الآن.

حين وصلنا إلى مكان شديد الانحدار، أمسكها بساعدها  
 فأعجبها دعمه لها، مع أن مساعدته لم تكن ضرورية، إلا أن  
 التماس الودي أسعدها وأبهج قلبها.  
 أمضت مائي أمسية مبهجة، فالأم وابنتها لطبقان دون شك.  
 وكلاهما يتمتع بالحياة بطريقة متسامحة ودية، وأكثر ما أسعدها  
 ترحيبهما الحار بها في نطاق نظرتيها إلى الحياة.  
 لكن حين حانت ساعة العودة، وأخرج جيبي السيارة  
 ليوصلها، أحست بالرغبة في الطيران للوصول إلى المنزل الذي  
 أحست فيه بالسعادة الحقيقية. أوصلها جيبي إلى الباب هذه  
 المرة، لكنه رفض الدخول معها لأسباب هي تعرفها، وقررت  
 أن تغير نظرة وصيها إلى جيبي.  
 استمر نصيحتها هذا أثناء اجتيازها الردهة وصولاً إلى مدخل  
 غرفة الجلوس المضاءة... وهناك توقفت.  
 فإذا أمامها مشهد كالذي طالعتها للمرة الأولى، لكنه هذه



المرّة كان يجلس وهائلة من نور مصباح لطيف نلغه لا وهج  
شمس المغيب، وكان تعبيره هذه المرّة، حين رفع نظره  
وشاهدها تعبيراً مرحباً فيه ابتسامة ودود.

دنت منه رأساً، إلى دائرة ذراعيه . فقال لها:  
- أهلاً بك حبيبي!

وشدها لتجلس على ذراع مقعده . لم يكن قد ناداها من  
قبل «بحبيبي» وهذه كلمة لا يستخدمها عادة علي ما تعتقد.

فقال بالدفاع:

- أمضيت وقتاً رائعاً. لكنني لم أتاخر . .  
- لا يهم إذا كنت قد تمتعت .

ارتدّ إلى الخلف ليتأملها، كانت بسعته تسع قلبلاً، وفي  
عينه الزرقاوين الياودتين، لمحة من التساهل . . سألته:

- اشتقت إليّ؟

- اشتقت إليك؟ ولماذا اشتاق إليك؟ عشت سنوات  
بدونك.

- لكن هذا كان قبل أن تعرفني.

رد ساخرًا:

- هذا صحيح . . . حسناً . . كنت مشغولاً جداً حتى اشتاق  
إليك.

- أكنت مشغولاً؟

هز رأسه، وشد ذراعه حولها قليلاً، وقال:

- ألن تسأليني ماذا كنت أفعل؟

- حسناً . . ماذا كنت تفعل؟

- أفنش عن جواد.

- اوه . . صحيح؟ اوه كم أحبك! هل اشتريته لي حقاً؟  
- أجل.

- اوه . . إن هذا لرائع! أنت لطيف طيب معي . . ولست  
أدري حقاً السبب.

ترك هذا السؤال يعمره، بابتسامة . . وقال:

- أظنه سيعجبك. إنه كثنائي اللون، صغير، لكنه يعمل  
بجد ويقدر على حمل فارسة ليس لديها خبرة.

- وهل ستشرف أنت على تعليمي؟

- بكل تأكيد.

- ألن تترك المهمة للسيد فالكون؟

بدت راغبة في المزاح المزعج، وقد حفت مرادها فقد نظر  
إليها عابساً ورد بخشونة:

- لا . . وهل تريد من القيام بالمهمة؟

فصاحت مبسمة وقالت بصراحة:

- اوه . . لا . . فأنا أفضل أن تكون أنت معلّم.

ابتسم عندما وجدها تشدّد على هذا، فأضاف:

- إنه رجل طيب، وخيال ماهر في الواقع، وقد أسمح له  
بأخذك معه في نزهات أحياناً.

- وهل ستفعل؟ هل الوقت متأخر الآن على رؤية الجواد؟

- أتريد من رؤيته حقاً؟

هزت رأسها إيجاباً، فأخلق الكتاب الذي كان يقرأ فيه  
ووقف:

- تعال.

خرجوا معاً من باب الردهة الجانبي ومنه إلى باحة المنزل



الخلفية . . كان هذا الجزء من الالديان ستون غير مألوف لها، وهو يقودها إلى فناء مرصوف، يطل على مبان عدة فيها كاراج كبير ومخزن غلال وفيها بعيداً إسطليل .

وجدت مائي نفسها ترتجف من الإثارة، حين توقف تريفور أمام أحد أبواب الإسطليل . فهمت :  
- أهو هنا؟

وقبل أن يرد، كان الحصان الكستنائي يجيها، إذ رفع رأسه فوق القسم السفلي من الباب، ونظر إليها بعينه الكبيرتين وكأنه يسألها أمراً . فتركته يشم يدها، ثم لفت ذراعها على عنقه اللماع تربت أنفه :

- اوه . . أيتها الحبيب . ليت في يدي بعض السكر آسفة جداً لئسباني أن أحضر القليل منه . لكنني سأعود في الصباح الباكر، حاملة السكر لك .  
وقف تريفور سنا يراقب المنظر بسعادة، ثم قال حين وضعت مائي رأسها على جلده اللماع :

- أنظهرين دائماً حبك للأشياء والناس بهذه المبالغة؟  
ردت متجهمة :

- لست أدري، لم يكن في حياتي «ما» أو «من» أبالغ في حبهم قبلك وقبل الجواد .

ساد صمت ثقيل غريب . . ثم قال :

- أنا سعيد لأنك وضعتنا بهذا الترتيب . . هل نعود الآن؟  
عادا معاً إلى المنزل، وهي تمسك ذراعه تضغط عليها بمحبة :

- بكل بساطة . . لست أدري كيف أشكرك .

- لا بأس عليك يا طفلي . . اعتقد أنني أفهم شعورك . .  
- هل تفهمني حقاً؟ ليس هذا تدليلاً مادياً بحثاً بل محبة زائدة قد تفسدني . أتعلم أنني أحس بانتماي الفعلي لك وهذا ما ثم أشعر به عندما كنت تحت رعاية العمّة كارولين .

فضحك ساخراً وقال بيروود، وبازدراء ليس أخوياً أبداً :

- اوه . . كارولين ! لا . . ما كنت لتتني إليها طبعاً .

لم يقل إنها تنتمي إليه، لكن المعنى موجود وبارز .  
وقالت :

- لا أحسب أن أحداً كان له وصي كريم مثلك .

- ما دمت طيبة، مطيعة، فلماذا لا أدلك؟

لم تكن هذه لحظات مناسبة لتحاسبه على آرائه المتعلقة بحيري، لكنها أحست بأنها غير وفة لحيري ببقائها صامتة، لكن لا ريب الفرصة آتية . وصلاً في هذه اللحظات إلى تروده . . فنظر إليها متسائلاً :

- حسناً مائي . . ماذا بك؟

حاولت إخفاء ما قد انعكس على وجهها من اضطراب :

- لا شيء . .

- لا شيء؟ هه؟

أمسكها بذقنها المستدير، كما فعل في الأمسية الأولى، ونظر إليها بسخوية واهتمام، وهذا ما جعلها تحس لا بالولاء بحيري فحسب بل بخداع وصيها، فأصطبغ وجهها خجلاً . .

ضحك لهذا، ثم قبلها بلطف قبل أن يتركها قائلاً :

- حسناً . . اخلدي إلى فراشك .



عندما صعدت الدرج ببطء، تملكها انطباع غير مريح لا  
يفسر، إنه يعرف تماماً، سبب اضطرابها وسبب تفضيح وجبتها.



## ٥ - لآلىء الحيرة

وجدت مائي خلال الأسابيع الثمانية الحياة مبهجة. فلم  
يعلمها وصيها القروسية فحسب بل راح يخرجها معه ليؤورا  
الأملاك. وبدأ أنه يتمتع بصحتها.

وقام كما توقعت بتعليمها قيادة السيارات، وقد كاد تدليله  
نفا وتسامحه يدفعها إلى أن تطلب منه سيارة. وهي لو سألته  
فعلاً لليس طلبها.

لم تكن قلقة. لكن العديد من الناس قالوا إن تربيتور ستار  
لا يهجم إلا مصلحته، وقد كادت في بعض الأحيان تتساءل عما  
إذا هناك أي دافع وراء كرمه ودلاله، وعما إذا كانت مستدفع  
عجأة إلى تنفيذ أمر ما ضد إرادتها. لكنها كانت تؤكد لنفسها  
دائماً أن من السخافة خلق أسباب للقلق. ولا بد أن سبب هذا  
كله هو تعلقه بها بطريقة ما كان يتوقعها. وأحست بمشاعر دافئة  
راضية في أعماق قلبها من جراء هذه الفكرة.

حتى جيري ما عاد مدار جدال. فبعد أيام من زيارة قصر  
تشارمره سافر ليحل معضلة ما برزت في أحد نواديه.

زارها ليشرح الوضع، ليبرز سقره المفاجيء. لكنها كانت  
في تلك الأثناء لسوء الحظ في حديقة الورود، وعندما فتحت  
له الخادمة الباب، قالت بغباء إنها غير موجودة، فكان أن ذهب



دون أن تراه لكنها استلمت منه رسالة ودية يشرح لها فيها ما حدث. وقد قال في رسالته إنه ولينا مسافران إلى أوروبا في شهر أيلول، وأنه قد لا يعود إلى القرية قبل سفرهما. لكنه أضاف أنه سيراهما بكل تأكيد في بتسرع في الخريف.

أحست بخيبة الأمل لإيقاف هذه الصداقة اللطيفة فجأة، لكن غيابها من جهة أخرى، أزال مصدرها خطراً كان قد يسبب لها خللاً مع وصيها. وأحست بحزن يشوبه الارتياح والخيبة. لكنها بدافع الولاء لجيري. طرحت موضوعه مقدمة عرضاً عن الأعمال الجيدة التي يقوم بها. وتمنت لو يتأثر وصيها بما قالته بدل الإصغاء متسماً بطريقة لا تنم عن شيء محدد، كدهشة أو إعجاب. وفي النهاية استجمعت شجاعته لتقول بحزم:

- وبذلك ترى أنه ليس كما نظنه شاباً خليعاً.

رد بأدب:

- هذا ما يبدو.

ثم غير الموضوع، فعلمت أنها لن تستطيع التطرق إليه ثانية دون إظهار اهتمام خاص به لا حاجة إلى إظهاره.

ودت لو ترد على رسالة جيري شاكراً، لكن لو أراد المراسلة، لكتب لها عنوانه في الرسالة، وهذا يدل على أنه مراسل سيء، ويفضل عدم البدء بما قد يسبب له مشقة.

كان هناك أثناء غياب جيري، رفيق آخر راغب في تمثيل دور الرفيق الممنوع وهو جيروم فالكون.

لم تكن ماني تلك الساذجة إلى حد ألا تعرف أن الشري الشاب معجب جداً بها، كما أنها لم تكن مترفعة حتى عدم التمتع بهذا الواقع.

ثم إن جيروم ذا طبيعة طيبة، رفقته ممتعة لأنه سهل المعشر، وسيد مقنن. وقد سر بها لأنها كانت تهتم بمشاكل إدارة الأملاك، فهو من النوع الذي يعتبر النساء عاجزات.

لكن، ما إن أدرك واقع حياها لسمع ورؤية الأشياء ذات العلاقة الوثيقة بأملها أو بأملها وصيها، حتى أبدى بهجة باصطحابها إلى أي مكان، باذلاً جهده ليفهمها كل الأمور التي تثير اهتمامها.

صعب عليها، معرفة مدى موافقة تريفور ستار على هذه الصداقة، لكن بما أنه لم يعرقل هذه المسيرة، فقد افترضت ماني موافقة عليها.

عندما وصلت نتيجة الامتحان، كانت على موعد مع جيروم، الذي كان من أول المهتمين بعد وصيها، فقد قال وهو يفحص بدقة سجل العلامات:

- عظيمة جداً علامتك!

- لا.. ليس للعلامات ميزة خاصة فليست متوقعة أو مميزة.. إنها علامات محترمة، وهذا كل شيء.

- لكنها تظهر ذكاءك!

فضحك وصيها:

- هي علامات تمكنها من ترك المدرسة، وضميرها مرتاح.. إذا كانت ترغب.

سارع جيروم يقول:

- اوه.. ستترك المدرسة طبعاً، ألن تركيبها ماني؟

استعادت ماني نتيجة الامتحانات ووقفت لتفكر إليها مبسمة دون اتخاذ قرار، ثم رفعت نظرها فرأت عيني وصيها ثابتين



عليها. فلاحظت مذهولة لا الاهتمام الشديد فحسب، بل لمحمة  
إثارة بهما. فحدقت فيه بعينين متسعيتين، وسألته بسرعة:

- أتريد مني ترك المدرسة؟

- يا عزيزتي، أريد منك أن تبقي مبدك في هذا الشأن..

إنها حياتك لا حياتي.

- لكن، هل ستكون سعيداً إذا تركت؟

ابتسم لها بطريقة ذكرتها بتأكيدات جيبي بأنه قادر على  
إغواء عصفور على الشجرة إذا أراد:

- حسن جداً يا مائي.. اعترف بعد أن أمضيت معي هذه  
الأسابيع الأخيرة، أنني سأشاق إليك كثيراً إذا قررت الابتعاد  
عني. من ناحية ثانية..

قاطعته وهي تكاد تهش بالكاء.

- اوه يا حبيبي.. لن أذهب!

ركضت نحوه وارتدت عليه عاقدة ذراعها على عنقه، وهذا  
ما جعل جيروم فالكون يضحك معلقاً:

- هذا نكران للذات تستحقه يا عزيزي تريفور!

لكن تريفور سار لم يقل شيئاً، بل كان ينظر إلى المخلوقة  
المفعمة بالحياة، إلى الشابة المتعلقة به، اكتسى وجهه لحظات  
نظرة ذاهلة.. قالت مائي بإصرار:

- سأبقى معك.

رد عليها بهدوء بارد:

- يا طفلي العزيزة، سأكون مسروراً، إذا كان هذا ما

تريدين.

وأخى رأسه ليقبل رأسها قبل أن يتركها.

نأثرت مائي كثيراً، ليس لأنه أقر بأنه سيفتقدها، بل لأنه  
استخدم تعبير «إذا قررت الابتعاد عني» لو شهد جيبي هذا  
المشهد لرأى بأم عينه الرابط الوثيق بينهما.

وقال جيروم:

- حسناً.. لقد نمت تسوية هذا.. فماذا عن التزهة مائي؟

نظرت إلى وصيها متسائلة:

- هل أذهب؟

- بالطبع يا عزيزتي.

لم يكن جيروم فالكون بالرجل المهذب فيما يتعلق بمشاعر  
الآخرين، لكن عندما كان يسير الهويناء على ظهر جواده مع  
مائي، قال وكان ما لاحظته يدهشه:

أنت وتريفور متفقان كل الاتفاق؟

- أجل.. ونحن إلى ذلك متعلقان ببعضنا بعضاً.

وتذكرت ما قاله جيبي عن أن تريفور لم يتعلق قط في  
حياته بشيء أو بشخص ما.. ربما كان لجيروم النظرة نفسها،  
لأنه قال بعد لحظات تأمل:

- تريفور شخص غريب الأطوار.. لقد نجحت في جعله

يتعلق بك وهذا لجدير بالشناء حقاً.

أحست بأنها لم تعجب بجيروم قط كما أعجبت به الآن..

فهو لم يحاول من قبل التساؤل عن مدى تعلق وصيها بها، كما  
لم يحاول عزو الأمر إلى دافع خفي. قد يصل أشخاص بسيطون  
سريجون مثله إلى الحقيقة المجردة بسهولة أكثر من الأذكياء  
المفكرين. فابتسمت له وقالت:

- اوه.. إن مرد هذا، على ما أعتقد، إلى عدم وجود من



لم تكن هذه الزيارة الأولى لها، فقد أتت قبلاً للعشاء، مع  
وصيها، لكنها هذه المرة استطاعت أن تلقي نظرة شاملة على  
القصر في ضوء النهار.. وقالت معلقة باحترام:

- إنه فعلاً منزل عظيم!  
- أجل.. لكنتي أرى أحياناً أن انديان ستون أكثر جاذبية.  
ولعل السب وجودك فيه.

فابتسم ماني لتعليقه، فهي كذلك تؤمن بأن انديان ستون  
أكثر جاذبية. حين أدخلها إلى المكتبة الضخمة المغلفة بالخشب  
الغامق اللون ليقيم لها الليمونادة، أحست بالعظمة، وكان  
القصر عاش أكثر من زمانه، حتى كاد لا يعرف السيل إلى  
المحافظة على تلك العظمة في عالم متغير جداً. وسأله وهي  
تستدير متألمة الصمت حولها:

- ماذا أردت أن تربيني؟  
تتخجج جيروم:

- حسناً.. في الواقع، إنها هدية عيد ميلادك.  
- لكنك ما علمت بموعده حتى اليوم.  
- صحيح.. لكن ما إن ذكرته حتى فكرت في أن أهديك  
شيئاً، سأذهب لأحضره.

وخرج قبل أن تتحجج.

لكن، لم تتح لها الفرصة للتفكير قبل أن يعود.. فقد وضع  
امام ماني المدهولة، سواراً وقرطين من الطراز نفسه.

كان جمال السوار والقرطين وحشياً تقريباً.. فهما جميعاً  
مزيج من أحجار كريمة ثمينة وعمل يدوي زخرفي.. ومع أنها  
قد لا تعتبر من المجوهرات الثمينة جداً، إلا أن صناعتها

يتعلق به من قبل.

- ربما.. على كل الأحوال.. المهم هو اهتمامه بك  
وتسامحه معك. إنك ستضين وقتاً رائعاً في المدينة هذا  
الخريف يا ماني.

ضحكت مسرورة:

- صحيح؟

- أجل.. أنت حين بأتك كبرت اليوم؟

- لا.. ولماذا اليوم بالذات؟

- لأنك تركت المدرسة قطعاً.. وخطوت الخطوة الأولى  
لتكوني امرأة ناضجة.  
ردت ماني بتمهل:

- صحيح.. أعتقد هذا ربما أحسن فعلاً بأنني مختلفة  
قليلاً. خاصة وأني سأكمل السابعة عشرة بعد يومين. وهذا  
يشكل مفارقةً كذلك.

- عيد ميلادك يوم الخميس؟

- أجل.

- لماذا لم تخبريني؟

- بل لماذا أخبرك؟

- حسناً.. يهمني الأمر.

ضحكت ثانية وهزّت اللجام بيدها فانطلق الجواد الكستاني  
راكضاً، وما عاد هناك مجال للحديث.

مرا في طريق العودة بقصره وأصر على دعوتها إليه:

- ثمة ما أود أن تربيه.

- حسناً.. لكن يجب ألا تتأخر.



البدوية، وعمرها، يضيفان قيمة لا بأس بها عليها... وقالت:  
- جيروم... إنها فعلاً جميلة! لكنني لا أستطيع قبول شيء  
كهذا منك.

- بل تستطيعين القبول. إن هذه ستكون رائعة عليك لأنها  
غنية بالألوان غناك أنت بها.

- هذا لطف زائد منك... لكنني حقاً لا أعتقد...

- أرجوك اقبلها ماني. متبدو جميلة عليك. ربما أنت ما  
زلت صغيرة على التزين بها إلا أنها مناسبة في السهرات. وفيما  
بعد مسترئين بها.

مدت ماني يدها مترددة، فلمست السوار العريض الجميل.

- جيروم... إنها هدية ثمينة...

- لا... إنها أحجار كريمة ثمينة بعض الشيء.

- لكن صناعتها البدوية رائعة!

- أجل...

أرادت ماني أن تقول له إنه يجب أن يهدي هذه  
المجوهرات التي كانت في العائلة منذ زمن، إلى الفتاة التي  
سيتروجها، لكنها عرفت أن مثل هذا الكلام سيعقد الأمور بدل  
أن يستطها:

- جيروم، لا تحسني غير شاكرة، فأنا مؤمنة بأنها حلبي

رائعة ومن اللطف منك أن تهديني إياها... لكن... لكن

صدقاً... لا أظنني قادرة على قبول مجوهرات منك الآن...

فلا أحد يهدي شيئاً كهذا بعد تعارف لا يتعدى الأسابيع.

- دعك من هذا! فنحن لسنا معارف فحسب. فأحببنا

صديقين مقربين.

ردت تحاول ألا تجرحه:

- أوه... بكل تأكيد!

- حسن إذن. إن الصديق المقرب يمكنه إهداءك هدية عيد  
ميلاد.

وبدا عليه التجهم وهو يردف:

- إنها لا ترقى إلى مصاف الجواهر ماني... أعني، ليست

كالكلماس أو أي شيء من هذا القبيل.

ضحكت ثم عضت شفتها:

- أعلم... اسمع جيروم... أحب أن أقبلها لأنني ما

شاهدت مثلها قط. لكن أمهلني حتى أسأل تريثور أولاً.

- تريثور؟ وما شأنه في هذا؟

- حسناً... إنه أفضل حكم في هذه الأمور... أرجوك

جيروم. أشعر بالراحة هكذا.

- حسناً... خذها معك واسأله.

فالت له إن من الأجدي أن تسأله أولاً، فهي إن أخذتها

الآن سيصعب عليها رفضها في ما بعد. لكن ربما فكر في هذا

الاحتمال كذلك، لأنه وضع الحلبي في يدها وأطبق أصابعها

عليها، قائلاً بإصرار:

- خذها معك وانظري ما يقوله تريثور.

فما كان أمامها إلا أن أخذتها لعلمها أن الكرم الصادق هو

الدافع أجابت:

- شكراً لك مراراً يا جيروم، إنها باذرة لطيفة منك في كل

الأحوال.

أرجعها إلى انديان ستون، لكنه رفض الدخول، ولعله ظن



أن إرجاع الحلّي إليه سيكون سهلاً في حال وجوده. أما ماني فقد رأت أن من الأسهل عليها بحث الأمر وحدها مع وصيها. أصبحت معتادة على الإسراع إليه لإيجاره بكل شيء. كانت تقوم به.

لكن هذه المرأة قررت التريث إلى ما بعد العشاء. وما إن جلسا في غرفة الجلوس يرثشان القهوة حتى قالت له:

- أراد جيروم أن يقدم لي هدية عيد ميلاد.

- صحيح؟ ماذا أراد أن يهديك أم الأمر سر؟

- أوه لا. ليس سرّاً. لكنه معضلة. فقد أراد إهدائي أو

فلافل أهدائي مؤقتاً. سواراً وقرطاً كانا لأمه.

- وماذا تعين بالإهداء المؤقت؟

- حسناً. أتري، قلت له إنني لن أقبل الهدية حتى

أسألك.

- أوه.. هكذا إذن.. هل اعتقدت أن الهدية قد تحمل

مضامين محددة؟

- لا.. ليس بالضبط.. لكن ليس من اللائق قبول الحلّي

من رجل..

بدا على وصيها السرور والتسلية:

- بل إنها لائقة في كل الظروف. واعتقد أن فصلك هو أن

الفتاة لا تقبل بالحلّي من رجل لا تعرفه إلا قليلاً.

- أجل.

- أهي عالية الثمن؟

- يقول لا. لكنها جميلة جداً.

- فلارها إذن.

حين أحضرتها. مد يده ليأخذها، ووقفت ماني ترتقب حتى علق أخيراً:

- جميلة جداً.. ساعة فرنسية يدوية من القرن السابع

عشر.. هل حريت وضعها؟

- لا.

- لا؟ أجريت عليها تعديلات حديثة فقد وضعت لها أقفال

لولية أنعرفين هذا؟

- أجل.

- لماذا لم تجربها؟

- ظننتي لن أتخلّي عنها بسهولة، حتى وإن لم نوافق.

فضحك لصراحتها:

- تخلي بها الآن، ودعيني أراها عليك.

حين استدارت عن المرأة لتواجهه، رأتها ينتفض أنفاسه

قليلاً. وقال، مرتداً في كرسيه:

- أجل.. إنها غير عادية.. ويجب أن نشترى فستاناً حريرياً

يلابها.. فستاناً بسيطاً. ذا خطوط كلاسيكية قديمة، وقماش

فاخر.. سنرى ماذا نفعل بشأن هذا الفستان حين نذهب إلى

بسرغ.

- أنعني.. أنني أستطيع الاحتفاظ بها؟

- لست أرى ما يمنع. إذا كانت تسعدك.

اكتشفت فيما بعد أنها لم تكن الوحيدة الدهشة من هذا

القرار. ففي اليوم التالي عندما أرت السوار والقرطين للسيدة

هدسون وأخبرتها بأنها هدية من السيد فالكون أظهرت الأخيرة

عدم رضاها:



- إنها ليست هدية ثقيلبها من سيد، إلا إذا كنت ستزوجين

به

- اوه سيدة همدسون، وهل مثل هذه الأمور مهمة في أيامنا

هذه؟

لكن هذا ما كان عليه رأيها قبل أقل من أربع وعشرين

ساعة. ردت مديرة المنزل باتزان:

- هذا ما أظنه بكل تأكيد. خاصة إذا كانت الشابة قد تربت

تربية رفيعة، وكان على السيد فالكون أن يفهم الأصول فيمتنع

عن إهدائك شيئاً كهذا. لا أحسب السيد ستار موافقاً عليها.

- ما قصد السيد فالكون إلا أن يكون لطيفاً. أما السيد ستار

فقال إن لا بأس بالأمر.

- السيد ستار قال إن لا بأس؟ وهل وافق على أن تقبلي

هدايا من الحلبي؟

- إنها هدية واحدة، ولا تنسي أن المناسبة تتعلق بعيد

مولدي.

- حسناً.. إذا قال السيد ستار إن لا بأس في هذا، فليس

لي أي قول أضيفه. لكن الأمر غريب.. إلا إذا..

وصمتت تنظر إلى ماني باستغراب:

- إلا إذا ماذا سيدة همدسون؟

- لا شيء.. كنت أفكر في صوت عال.

أحست ماني بالغضب، وقد طغى هذا الإحساس على

سعادتها بالهدية. لكنها أقنعت نفسها بأن السيدة همدسون متزمنة

وتقليدية. إن المسألة كلها، جعلتها تنظر إلى جيروم نظرة

مختلفة وهذا ما أظهرته أمام وصيها:

- بدأت أدرك أن جيروم رجل رائع.

- حقاً؟ بسبب الحلبي؟

- لا.. ليس بسبب الهدية بل بسبب الطريقة اللطيفة التي

أقنعتني بها. وأستطيع القول إنه شخص عطوف كريم. ولا يبدو

أنه يحب السكن وحيداً في قصره الضخم.

- هناك نساء كثيرات مستعدات للتعويض عنه في هذا

السياق.

بدت الدهشة على ماني وسألت ببراعة:

- صحيح، أتعني أن النساء يجرين خلفه؟

- يا طفلي العزيزة. أظنه أفضل صيد نعين في البلاد كلها.

إنه رجل فائق الثراء، ذو مركز محترم، وهو إلى ذلك جذاب..

ومع أنني لا أدعي فهم وجهة النظر النسائية في الموضوع، إلا

أنني أستطيع القول إنه سهل الانقياد وهذا يعني أنه زوج مطيع.

- أجل.. أعتقد هذا. ألا تظنه يفضل البقاء أعزب.

- لا أعرف سره. لكنه شخص مثير للشفقة يعيش وحيداً

وسط عظمة وهمية محيطة، فلا أرى في الواقع لماذا لا يسلك

الطريق البديهي للخروج من هذا.

- أتعلم لقد قال إنه يعتقد إن انديان ستون أجمل من

قصره.

- وما الذي دفعه إلى هذا القول؟

- اوه.. لست أدري.. أظنني قلت شيئاً عن عظمة منزله..

فعلق على كلامي، قائلاً إنه يعتقد أن انديان ستون أجمل من

منزله وأروع. وهذا ما أظنه كذلك.

- أتعتبره حقاً أروع؟



- اوو.. أجل! ولن أرغب أبداً في العيش في قصره، إنه ضخم مربع، وفيه شيء ميت تقريباً، أو يكاد يموت. وكان لا معنى لهذه العظمة.

- العظمة فارغة إن لم يكن هناك من يمسها ويعطيها الامتياز. وفالكون، رغم طيبه رجل عادي الشخصية. وقصر غراي لا يحتاج أبداً سيداً ذا شخصية عادية.

- اعتقدك على حق.  
كانت متأكدة من أن رأي تريثور البارد الموضوعي هو رأيها لكن بتعبير مختلف.

- تظن السيدة هدمسون أنه يجب ألا أقبل هدية كهذه.

- لم يطلب أحد منها رأيها.

- اوو.. لقد أرتتها الهدية فعلقت بالقول إن الشابة التي ربيت حتى تكون سيدة لا تقبل شيئاً كهذا، إلا إذا كانت متزوج بالرجل الذي قدمها لها.

رد تريثور دون اهتمام:

- ربما أمل فالكون أن يقدمها إلى الشابة التي سيتخذها

زوجة.

صاحت مائي:

- اوو.. لا! لا أظنه يفكر في هذا المنحى. كان يتحدث

عني قبل ساعة وكأني طفلة.

- قلت لك إنه لا يبوح لي بأسراره.. لكن لا تحملي الأمر

على محمل الجد. فأنت أصغر من أن تحملها بجديّة كبرى..

ويمكن أن أقول إن فالكون يعرف هذا أكثر من غيره.

- أتعنى هذا!

- وهل بهم هذا كثيراً؟ أعني لو نظر إليك بطريقة أخرى، لا اعتبر صيداً ثميناً للزواج، صاحت مائي بقلق:

- لا أريد التفكير في مثل هذا الآن.. أريد فقط استكشاف ما في الدنيا من مباحج أولاً.

- طفلة حكيمة.. نحن في مطلق الأحوال منسافر إلى تشبرغ في الأسبوع المقبل. وبهذا سيكون أمامك وقت لعمل الفراغ والتفكير، في فالكون.

• • •

www.rewity.com



## ٦ - الوجه الآخر

كما كانت الحياة في انديان ستون جديدة على مائي، كذلك كانت الحياة في المدينة، التي فتحت فصلاً جديداً من كتاب الحياة أمامها.

لم تكن مائي وبسبب معاملة العمّة كارولين لها قد زارت مدينة كبيرة إلا لبضع ساعات وهي لم تكن قد رأت من المدن إلا ما تسمح لها نافذة التاكسي برؤيته وذلك أثناء انتقالها من محطة قطار إلى أخرى.

لكن بتسريح تعتبر أكبر مدينة في بنسلفانيا بعد مدينة فيلادلفيا التي هي مدينة للفنون والموسيقى والتاريخ والثقافة، قدمت إليها بلهفة، وبإحساس طائش للحياة.

لم يكن متره الصغير في ضاحيتها المليئة بالأشجار شيئاً يذكر أمام انديان ستون، لكن كان له سحره الخاص، فأثابته يدل بوضوح على ذوق الوصي المثير للإعجاب.

لم يكن فيه عمال إلا خادماً وزوجته لكن مائي بعد العشرة وجدتهما أكفأ من عشرة خدام. فهما المسؤولان عن الطهي وتقديم الطعام في الحفلات الأنيقة التي وجدت أنها جزء من الحياة هنا. وهما عائلة تدرك أن المطلوب خلال إقامة سيدهم في المدينة المستوى الرفيع من الخدمة.

أما غرفتها فليست كبيرة كغرفتها المحيية في انديان ستون، لكنها جميلة الأثاث، أنيقة تشبه غرفة جلوس أكثر منها غرفة نوم.

كانت تعرف غريزيماً مني تتسحب بلباقة، مع أن وصيها ما أحب أن تفارقه أبداً وهذا أكثر مما يُعرض به.

وكان عليها بادئاً ذي بدء شراء ثياب تليق بمحيطها الاجتماعي، وهنا وجدت مائي نفسها مقطوعة الأنفاس من البهجة.

لم يكن هناك تسرع، أو فخامة في شراء الثياب بل كان كل ما اشتراه لها جميلاً، فيه غاية الذوق، وقبل أي شيء آخر، كان ما اشتراه يبرز شخصيتها المسخلة.

أذهلتها معرفته بثياب النساء. لكنها سرعان ما اكتشفت أنه يواجه المشكلة من زاوية أخرى فهو لا يرضى إلا بالأفضل. كان لا يتساهل في اختيار ما لا يتسجم مع ذوقه العام، مما حدا بمائي إلى الاحتجاج في إحدى المرات لأنه رفض شراء ثوب أرادته.

- لكنني أنا من سأرتدي هذه الملابس.

- وأنا من سينظر إليها. . . وأنا أريدك أن تظهرني في أفضل حلة وأريد أن ترتدي أجمل الثياب.

- لا تتصرف على هذا النحو.

بدا دهشاً:

- وكيف أنتصرف؟

- إنك تتصرف وكأنني أمة وعبدة لديك. . . تلبسني الثياب وكأنك تريد عرضني في سوق النخاسة.



شاهدت الدعشة تتحول فجأة إلى غضب فارتدت فوراً  
تعد يدها باحتجاج:

- أنا أسفة... لم أقصد هذا!

ثم لاحظت أن غضبه قد تلاشى أو منعه من الظهور... إذ  
أمسك بيدها الممدودة ضاحكاً، وقال:

- أنت عبدة مدللة... بكل تأكيد.

- أجل... أعرف... وأنا... أعني ما كان يجب أن أقول  
هذا... ولست أدري لماذا تفوهت بذلك.

- اوه... أظنني أعرف... فقد لاحظت بسواد تشديدي  
كوسي... وقررت وضع حد لهذا في الوقت المناسب.

اقتربت منه، خائفة مترعجة تصح ذراعها في ذراعه:

- لا... لم يكن هذا قصدي... كنت فقط مشاكسة وتناكرة  
للجميل.

لامس خدها ضاحكاً ثم صرف النظر عن الموضوع. لكنها  
تذكرت فيما بعد، أنه فقد ما يريد، وكانت هي من أحست  
بالذنب. ثم حين شاهدت الفستان الذي اختلفا عليه، كانت  
مسرورة للاعتراف بأنه على حق وأنها مخطئة. لكن أجمل  
الفساتين، كان ذلك الفستان الذي اختاره خصيصاً لترتيبه عندما  
تتربا بحلتي جيروم فالكون.

كان ذا تفصيلة رائعة وخطوطاً أنيقة وخصراً مرتفعاً وياقة  
منخفضة تكشف عن عنقها البيض. ووضعت فوق الكم الضيق  
الطويل السوار البربري الجمال، ثم سرحت شعرها الأدكن  
الكثيف إلى الخلف تاركة أذنيها الجميلتين معروضتين للعيان  
يتدلى منهما القرطان الرائعان.

قال لريفور سثار:

- أنت جميلة جداً يا مائي.

ثم أضاف متتهماً:

- لكنتي لن أستطيع الاحتفاظ بك طويلاً معي!

- هراء! أفكر أحياناً في عدم الزواج لئلا أتربك.

ضحك كثيراً وهو يسمع كلامها هذا:

- لا أظنني سأطلب منك هذه التضحية يا عزيزتي. لكنتي

أمل حين تختارين زوجاً أن يكون ممن يسكنون قريباً مني.

وتذكرت أنه لم يشجع جيروم، وأرادت أن تقول له هذا،

لكنها فضلت أن تترك الموضوع في تلك اللحظات، خاصة وهي

ما عادت تسمع عنه شيئاً منذ أن غادر تشارمر. ولم يصلها منه

إلا رسالة واحدة وعدها فيها بأن يريها أحد الأسدية التي

بؤسها.

أما جيروم فقد أرسل إليها رسالتين من قصر غراي وذلك

في أقل من شهر. وها هو الآن، كما يبدو، قادم إلى بنسبرغ

وبذلك سيوفر على نفسه كتابة الرسائل. قالت مائي بعد أن

وعدها وصيها باصطحابها لحضور مسرحية غنائية:

- من الأفضل إذا وصل جيروم قبل الوقت المحدد، أن

يرافقنا إلى المسرح.

- أشك في أن يكون من هواة المسرح!

- هذا صحيح، لكن هذه المسرحية رائعة.

- نعم هذا ما أظنه. فأصحاب الحناجر الجميلة نادرون. لذا

اعتقد أن لأجواء هذه المسرحية الغنائية ميزة خاصة. لكنتي

أحذرك منذ الآن، فإن حاول أن يقيس الموسيقى بقدمه فسألقه



من المقصورة إلى الأسفل.

ضحكت مائي:

- لن تقبل بأن يرافقنا إلا إذا أظهر علامات الحماس للذهاب.

لكن جيروم بدا في شوق إلى قضاء سهرة بصحبة مائي في أي ظرف كان، خاصة في المسرح. وقال له تريفور بتفاؤ صبراً:  
- يا عزيزي فالكون، إن المسرحية تروي قصة حدثت قبل زمن.

- صحيح؟ .. ما هي .. أتروي قصة أبطال من العصور الوسطى؟

- لا .. بل قصة كاهنة وثنية.

- آه .. هذا يردنا إلى التاريخ.

فايتمت مائي وقالت محذرة بلهجة ودية:

- يقول السيد سار إنك لو حاولت أن تقبس الموسيقى بقدمك فسيرميك من المقصورة.

سألها جيروم بعدائية خفيفة:

- أقبس الموسيقى بقدمي؟ ولماذا أفعل؟

- لأن الجميع تقريباً، يظهرون في وقت من الأوقات، إعجابهم بطريقة مثيرة.

مساء الخميس حين وصل إلى منزل الغابة الصغير، ليقبل مائي ووصيها بسيارته، كانت مائي تنزل السلم مرتدية الثوب المطرز، ومترينة بهدية عيد مولدها التي قدمها لها جيروم، الذي صاح وهو يتقدم إلى أسفل الدرج محذراً فيها:  
- إن هذين القرطين رائعين عليك.

ايتمت، واحمرت قليلاً:

- سيدورائماً على أي كان جيروم.

- لا .. لقد تزيت أمي بها لكنها ما كانت رائعة عليها كما هي عليك. أنت فيها تبدين كبطلة أسطورية خارجة من التاريخ. ونسي جيروم أن وجه أمه كان يشبه وجه الحصان .. قال تريفور ببرود من ورائه:

- وللستان كذلك تأثيره.

ضحك جيروم بإعجاب:

- اجل .. اجل .. بالطبع. فالستان مدلل. أنت تعرفين

حقاً كيف نختار بين ثيابك يا مائي.

- لم اختر هذا الفستان، بل السيد سار من اختاره.

فقال الوصي بسرعة:

- لكن أعجبك أيضاً.

- اجل بالطبع.

ثم قدمت له معطفها ليلقيه حول كتفها. . وعندما وضعه تريفور شد ذراعيه حولها من الخلف وقبل طرف أذنها، وهمس بصوت غير مألوف لها، قه حنان:

- تبدين حلوة يا حبيتي.

علمت عندها أن التوتر بينهما زال، فايتمت له مجدداً وخرجوا إلى السيارة المنتظرة.

كانت هذه هي المرة الأولى التي تلعب فيها مائي إلى المسرح، وكذلك جيروم على ما يبدو، فراح تريفور يقص عليها تاريخ ذلك المسرح مسجلاً لها أسماء بعض المسرحيات التاريخية التي سبق أن عرضت فيه.



عندما رأَت عظمة المسرح بألوانه الحمراء والذهبية. دهشت لكنها أسندت نفسها إلى حاجز مقصورتهم، تتابع بشغف شرح وصيها. ثم شاهدت عندما خفت الأضواء وجهاً مألوفاً تجلس صاحبه في الصف الرابع من المقاعد السفلى. وهو للبنا مايسون التي كانت تتحدث بشكل ودود مع رجل، يدير ظهره إلى مائي.

قفز قلبها وهي تعتقده جيبري. ثم، حين أدار رأسه، لاحظت من خلال الضوء الخافت أنه غريب. مع ذلك، بقيت خلال العرض تفكر فيه، لكنها فيما بعد نسيت وغرقت في مشاهدة المسرحية. والذي حدث أنها ما عادت من التحديق في فضاء التاريخ إلا بعد أن أسدل الستار وقال لها وصيها:

- هل استمتعت؟  
- إنها رائعة!  
وقال جيروم:  
- أظنني معجب بكل هذه النعمات التي كان الممثلون يهون بها كلامهم.

- أتودين الخروج إلى المقصف مائي؟  
لكن مائي كانت قد لاحظت أن لينا مايسون باقية في مقعدها فقالت:

- لا. حتى الفصل التالي على ما أظن.  
وقفت في نهاية الفصل الثاني السيدة مايسون تشق طريقها ببطء نحو المخرج، تتحدث إلى رفيقها الذي عرفته مائي فهو موسيقي شهير. فاستدارت إلى جيروم:

- فلماذا أتسمح؟

لكن وصيها صمم على مراقبتها، وكان عليها جعل الحديث متساعاً أثناء تجوال عينيها بحثاً عن السيدة مايسون، وما أن لمحت فستانها الأحمر حتى حيا أحدهم وصيها وتشاركها بالحديث.

سارعت مائي للتحرك مبتعدة عنه، وكأنها تتوق إلى بعض المرطبات. فجأة شاهدت السيدة مايسون أمامها تقف غير بعيدة عنها، تنتظر مرافقها الذي على ما يبدو ذهب ليحضر لها شيئاً من المقصف. . . فقالت مائي:

- جيروم. . . لقد شاهدت لتوي شخصاً أود التحدث إليه. سأعود بعد لحظات.

- حسناً. . . ماذا أحضر لك؟

- أي شيء بارد لبموناضة أو عصير. لا يهم.

واخترقت الجموع حتى وصلت أخيراً إلى حيث تقف لينا.

- مرحباً سيدة مايسون!

- يا طفتني العريضة. . . كم تبدين نحلاً رائعة! وكم شيت

في أسابيع قليلة.

- اوه. . . لا المسألة كل المسألة تتعلق بالفستان وبالقرطين.

- اوه. . . إن ملابسك جميعها جذابة. وأنت تبدين فيها

ممتعة بحياتك.

- اوه. . . هذا صحيح. . . إنها مسرحية جميلة، أليس كذلك؟

كيف حال جيبري؟

- جيد جداً. . . ومشغول جداً، بالطبع.

- إنه هنا أليس كذلك؟ أعني في المدينة.



- اوه.. - بالطبع.

- قولني له إنني سألت عنه، وأرجوك ذكره بأنه وعدني  
باصطحابي لرؤية أحد نواديه في يوم ما.

- هل وعدهك بهذا؟ إن هذا مغل يا عزيزتي، توقعت من  
اصطحابك إلى مكان فيه تسلية.

- اوه.. لا.. سأحب أن أذهب معه.. ألدبك رقم هاتفنا؟

- حسناً.. أظنه مسجلاً في الدفتر.

- أجل أظن هذا تحت اسم السيد ستار بالطبع. يجب أن

أذهب الآن.

- سررت برؤيتك حبيبي.

وقبلت أصابعها وأرسلت القبلة إلى مائي بمحبة.

تسللت مائي ثانية لتنضم إلى جيروم الذي بدأ وكأنه يتساءل

ماذا سيفعل بكويين من المصير ويطبق من السندويشات.

- اوه جيروم، ما أروعها!

تمتت ألا يلاحظ وصيها، الذي انضم إليهما بعد وقت

قصير، نضج وحتبها وتألقت عينيها، لكنه وإن لاحظها قبعزو

هذا التضرج والتألق إلى سعادتها النابعة من مشاهدة مسرحية

للمرة الأولى.

في اليومين التاليين، توقعت متشوقة مخايرة من جيروم، أو

حتى رسالة، فتجنب الخروج من المنزل. وقد تلذعت مرة

بصداع. لكنها أحست بوخز ضمير وهي تدعي كذباً ما ليس

بها.

ومع ذلك لم تصل المكالمة.

كان لديها في الأمسية الثالثة ارتباط مؤكد مع جيروم، له

تتمكن من الرفض. كما أن كبرياتها ثارت ضد فكرة انتظار  
مكالمة من رجل ليس مهتماً بها على ما يبدو.

فكان أن خرجت مع جيروم، وتمتعت بسهرتها. لكنها

سارعت تسأل جاكسون حين عادت:

- هل تلقيت اتصالاً هاتفياً جاكسون؟

- لا.. آسف مائي... إنه اتصال واحد رد عليه السيد

ستار.

- هكذا إذن.

وتساءلت حائرة ما إذا كان لديها الجرأة على أن تسأله.

وعرفت حين رفع رأسه متسماً، وعيناه باردتان أن الجرأة لن

تواتيها. فأخبرته عندها عما جرى معها في تلك الأمسية، فأبدى

الاهتمام الساحر بها، لكن حين قبلته قبلة المساء واتجهت نحو

الدرج انضت لتقول:

- ألم تصلني مكالمات هاتفية؟

- لا.. أكنت تتوقعين مكالمة؟

- لا..

واتجهت إلى غرفتها.

بعد هذا، فكرت في أنه من الأجدي عدم التفكير في

جيروم، فعلى كل الأحوال، قد يكون هناك فتاة أخرى يهتم بها،

وفرر من أجلها التخلي عن معارفه.

منعت مائي نفسها عن التفكير فيه فراحت تخرج كثيراً مع

جيروم، إنها تتمتع بحياتها هنا. ودهشت حين اكتشفت السرعة

التي تمضي فيها الأسابيع، فهي قريباً ستبدأ بالاستعداد لشراء

هدايا عيد الميلاد.



كان تريشور ستار مخي اليد معها، يعطيها الكثير من المال،  
فنتى لها بذلك التضع وحنها.

ومع ذلك ستبقى دائماً دافئة القلب، بسيطة وساذجة. لكن  
تريشور كان يريد خلق سيده شابة، فنانة، لا إبقاءها طفلة  
جميلة.

قبل أسبوعين من الميلاد، كانت تقف أمام منضدة مكتظة  
بالمعروضات في أحد المخازن، تتأمل هديتين محتملتين. لكن  
وبينما هي ترفع رأسها فجأة وجدت جيري أمامها يقف على بعد  
بضع ياردات منها ينظر إليها باهتمام.

- جيري! تسعدني رؤيتك بعد هذه العدة.  
- وتسعدني رؤيتك أيضاً ماني. كنت أسأل عما إذا كانت  
من أراها أنت أم لا.

- لماذا؟ هل تغيرت كثيراً؟  
- نعم... ولا. لقد أصبحت أنيقة جداً. لكن ما إن فتحت  
عينيك ونظرت إلي حتى عرفت أنك ماني التي أعرفها.  
لم تعد قادرة على الانتظار حتى يدعوها فقالت:  
- لم لا نذهب إلى مكان نتناول فيه القهوة ونحدث؟  
ظهر متردداً قبل أن يجيب:

- أجل... هيا بنا، هل انتهيت من التسوق؟  
- اوه... لا شيء مهم. سأتركه الآن...  
تحدثا وهما في التاكسي قليلاً... لكن ما إن جلسا في  
مواجهة بعضهما بعضاً حتى قالت ماني:

- هل أخبرتك أمك عن الثقاني بها في المسرح.  
- أجل. وقلت إنك كنت تبدين أنيقة كنساء البلاط

الفرنسي، في فستان مطرز مذهب، وفرطين والعين.  
- اوه... صحيح... إنه فستان جميل.

- أنمضين وقتاً طويلاً هنا ماني؟  
- أجل... إنه وقت رائع. لكن أفكر أحياناً في أن علي  
إيجاد شيء نافع أقوم به. فلا أريد أن أسعى فقط وراء المسرح.  
ضحك جيري:

- أستطيع القول إنك الآن تتمتعين بإجازة طويلة.  
- لكن يا جيري، لقد طالت الإجازة كثيراً. وأظن أن الوقت  
حان لأرى الوجه الآخر من الحياة... أما وعدتني مرة  
باصطحابي إلى أحد النوادي لأتعارف إلى نوع عملك.  
أحضرت السابقة لهما القهوة، فقال محاولاً تغيير  
الموضوع:

- تبدو القهوة جيدة... ليس كذلك؟  
- جيري... لماذا تتجنب إجابتي؟  
- وهل سألتني شيئاً عزيزتي؟  
- ليس بالضبط لكني كنت أنحدث عن عملك. ووعدك.  
مرر يده على شعره وضحك.  
- ماني، يا عزيزتي... ألا تترين أن من الأفضل التخلي عن  
الفكرة؟

- لا... لا أظن هذا... ولماذا؟ إلا إذا كان الأمر  
ببضجرك.

- لا... لن بضجرك... لكن وصيك لن يرضى.  
- لكنه لن يعرف على الأقل...  
- عزيزتي... أنا لا أحب وصيك... لكن له عليك



حقوق... ولا أحبنا قد تمتع بالقيام بشيء ما نعلم أنه  
سيمنعه لو استطاع.

- لا... لا... بكل تأكيد. لم أعن هذا.. ما فكرت قبل أن  
أتكلم..

وضع جيري يده فوق يدها عبر الطاولة:

- يا عزيزتي تفكيرك سوي. تسرني رغبتك هذه.. لكنه لن  
يأذن لك بمرافقتي أبداً.

- لكنه قد يأذن لي فعلى ما اعتقد أنه سيركني أفعّل ما  
أشاء.

- لا يا عزيزتي صدقيني، فهو مصمم على منعنا من اللقاء.

تحقق قلب ماني:

- ومن أين لك هذه الثقة؟ لهذا لم تتصل بي أو تراسلي؟

- أجل.

- أنت نبالغ يا جيري حقاً.. فما الذي جعلك تغير رأيك؟

ومتى بدأت تنظر إلى معارضته بجدية؟

- حين جئت مودعاً قبل سفري.

نظرت إليه مشدوهة:

- يومذاك؟ أه يا جيري كانت غلطة سخيفة ألم تعلم أنني

يومذاك كنت في المنزل؟ كانت هذه غلطة من فتاة بلهاء.

نظر إليها جيري بإشفاق.. ثم ابتسم:

- لا يا عزيزتي... لم تكن فتاة بلهاء التي أخطأت في

إعطائي المعلومات عن غيبائك. بل كان الوصي.. مع أننا كنا

معاً نراك في الحديقة عبر الشاكلة.

## ٧ - قصر الرغبة

لم تستطع ماني النطق إلا همساً:

- جيري.. أهلاً.. صحيح؟

أحسّت رغم معطف الغزو ورغم الجو الدافئ بالبرد.

- آسف يا عزيزتي.. إنه صحيح كل الصحة، لكن لا

تحملي الأمر على محمل الجد، ربما كان تصرفه شيئاً غير

لطيف، لكنه أوضح لي أنه يريد اعتادي.

- لكن لماذا؟ إن هذا مناب للمطبخ يا إلهي كيف

يخدعني؟ لماذا تركتني أعتقد أن الخادمة أخطأت؟ لماذا لم

يطلب مني بصراحة عدم ملاقاتك؟ لماذا لم يبحث الأمر معي

بلياقة وصراحة؟

- حسناً.. أولاً.. هذه ليست طريقته في معالجة

الأمور.. ثانياً.. هو يعلم أن منعك عني يزيدك تصميماً. لقد

قالت لي تلك الخادم: «أظن الأنسة بروكتر في الخارج..»

سأسل السيد ستار، ولهذا حسب أخيرك بما حصل.

صاحت بانزعاج:

- أوه جيري.. هذه مزواغة!

- لكنها أفقدته من عصيانك.

وضحك.. لكنها قالت متجهمة:



- الأمر ليس مضحكاً، كيف يخذعني. أنا أحبه نعم لكنني أرفض أن يعاملني على هذا النحو. أرجوك أخبرني عما جرى بالضبط.

هز كتفيه وعاد إلى الابتسام:

- ما حدث شيئاً يذكر. كانت العقابلة قصيرة ومحددة. أدخلتني الفناء إليه فقال لي بأدب «آسف، لكن ماني ليست هنا» وفي تلك اللحظة، برزت من طرف بعيد في الحديقة.. فقلت: «هذا ما أراه» لكنه لم يرف له جفن وهو يجيب «مع ذلك فأنا مصر على أنها ليست موجودة، خاصة بالنسبة لك» فضبطت أعصابي وشرحت له أنني قدمت مودعاً لأنني مسافرة...

- أوه جيبي.. لبتك قرعت على زجاج النافذة!

- لم أفكر في هذا، ولو فكرت، لما استطعت أن أفعل..

كنت فتاة صغيرة محبوبة، وهو مهتم على اختيار أصدقائك..

- جيبي.. ألم نسأله عن سبب حقه عليك هكذا؟

- طبعاً فعلت، فرد بنعومة إنه لا يحقد عليّ أبداً وإنه لا يملك شيئاً ضدي، لكنه يفضل اختيار أصدقائك، لأنك ما زلت صغيرة سريعة العطب. وهذا بالطبع، ما أنت عليه، يا حبيبي.

- لكنني لست طفلة إلى هذه الدرجة.

- لا.. فقد شئت كثيراً في الشهر المنصرم.. لكن، الله يعلم، أن وصيك لا يطاق، وهذا لا يعني حقه في الطلب مني الابتعاد عنك فسأكون وغداً، نظراً لعمرك، إن أنشأت معك علاقة بالسر. فكرت كثيراً في الالتصاف حوله، لكنني لم أستطع. وها أن كل شيء يتلاشى في الوقت الحاضر، حتى

بالت أمامي أمية واحدة وهي بقاؤك معجبة بي، حتى يصبح في يدك زمام أمرك.

- أوه جيبي.. سأبقى دائماً معجبة بك، وراغبة في صداقتك.

- شكراً لك عزيزتي، فهذا هو شعوري أيضاً. لكن لا تفكري في بطلاً، انظري إلى الأمور بساطة قدر المستطاع، وتذكري أن من السابعة عشرة سنأ يا فتاة.. وأمامك وقت طويل.

- اجل.. أتعرف يا جيبي، هو لا يمانع في خروجي مع الآخرين على سبيل المثال جيروم فالكون.. فلماذا يخصك بالمتع؟

- لست أدري..

ثم غير رأيه سائلاً:

- ألا تعرفين حقاً؟

- لا.. بالطبع لا. أتعرف أنت؟

- اجل.. أتحالني أعرف.. إنه يعرف أننا معجبان ببعضنا بعضاً منذ البداية، ومنعني عنك لأنك فعلاً معجبة بي.

- لكن هذا سخيف!

- لا.. أبداً.. بل هو ذكاء.. فأنا لا أنسجم وخططه، ولن يجعلني أنسجم معها. وأنا أعتقد أنه من وجهة نظره على حق.

- ماذا تعني بالانسجام مع خططه تحديداً؟

- لست أدري ما هي خططه بالتحديد، لكن أشك في أنه يعد شيئاً ما لمستقبلك وربما لصالحك، لكن تذكري أن هذا قد لا يكون ضرورياً لك. فكوني حذرة، إذ لا أعرف مدى



استعداده لقرض آرائه ورغباته . . .  
- ثمة أمر آخر أود معرفته . . .

- نعم ماني؟

- بعد أن استلمت رسالة من والدتك، هل حاولت الاتصال

بي؟

- أجل . . . اتصلت في إحدى الأمسيات لكنك كنت خارجاً .

- وهو من أجاب؟

- أجل .

- وماذا قال لك؟

- في الحقيقة عزيزتي، لم أتوك له المجال ليقول شيء . . . فما

أن سمعت صوته حتى أفلتت الخط . مع أنه لم يمنعني من

الاتصال هاتفياً، إلا أنني عرفت بأنني خرقت روح الانفاق بينما

- أنظنه لم يعرف أنك أنت؟

- ربما حتى هذا .

- اوه . . الحمد لله!

وترقرقت الدموع في عينيها . فبدأ القلق على جيرى:

- عزيزتي . . أخافنة أنت منه؟

- لا . . . لكنني ظننت للحظات أنه كذب عليّ مجدداً .

- لا تكذري نفسك ماني .

- لا . . . لن أكذرها . لا بأس الآن .

نظر إليها بعطف:

- اسمعي عزيزتي، لا تحبطي تريفور سشار بهالة من

القدسية لأنك كلما اكتشفت شيئاً سيئاً عنه مستضعفين متألمة .

لذا تقبلي واقع أنه رغم سحره، هو رجل مصمم لا رحمة في

قلبه، خال من الضمير . . . تقولين إنك متعلقة به، لا بأس في

هذا، فالمرء لا يحب أو يكره أحداً لفضائله أو عيوبه . ولا سب

يحتك من التعلق به . خاصة وهو متعلق بك هذا التعلق

ثمة . . . لكن حاولي ألا ترسمي في مخيلتك تريفور سشار لا

وجود له .

رفعت بصرها إليه، متذكّرة فجأة مرور الوقت:

- يجب أن أذهب الآن .

- حسن جداً . . . سررت برؤيتك ماني، وسروري أعظم

لأننا وضعنا الأمور في ما بيننا .

- وأنا مسرورة أيضاً يا جيرى . لا تقلق علي، ولا تظنني

سريعة، فالمسألة كل المسألة أنني لم أتوقع ما فكت .

- شكراً ماني . . . كان توضيح الأمر حسناً لنا .

عندما خرجنا إلى الشارع استأجر لها توكسي ثم ودعها طالباً

سها الاعتناء بنفسها، واعدأ إياها بأن يتقابلا حين العودة إلى

لديان ستون . أدخلها إلى السيارة، ثم أغلق الباب وأمال رأسه

حو النافذة ليقول:

- هل من الحكمة إيقاف الكلاب النائمة؟

- لا، فالكلاب ليست نائمة بما فيه الكفاية . . . وداعاً عزيزتي

جيرى وشكراً لك على كل شيء .

فارتد ملوحاً لها، وانطلقت السيارة بها .

بينما كانت السيارة تتسلل من الشوارع إلى منزل الغابة،

راحت تفكر في وحبها . . . فوجدت أنها لن تستطيع العيش بهذا

الوضع . لن تعيش تاركة له حرية التلاعب بخيوط حياتها، مسيراً

إياها كما يريد .



حين وصلت إلى المنزل، أدركت أنها لن تستطيع مفاتيح فوراً بالموضوع... فسبقاً هذا المساء حفلة عشاء صغيرة نسبت أمرها... والوقت الذي كان أمامها لا يكاد يكفي لتغيير ملابسها.

حين انتهت، وجدته في غرفة الجلوس. رمى الجريدة من يده ليسألها:

- هل كان يوم تبضعك ناجحاً؟

- أجل... شكراً لك.

- هذا ما اعتقدته، فأنت لم تحضري لتناول الشاي في موعده عصرًا، كما كنت أتوقع.

- صحيح... كنت سأعود باكراً، لولا التفتاني بجيري

مايسون الذي تناولت معه القهوة.

رد بيروود كامل:

- صحيح؟

- التقينا صدفة في مخزن مكتظ، واقترحت عليه الذهاب

إلى مكان نتحدث فيه.

- عزيزتي ماثي! أنت من اقترحت عليه؟

- نعم، فقد انقطعت أخباره منذ زمن طويل. وأحييت أن

أعرف السبب.

- وهل وجدت السبب؟

ردت بيطة وبيروود ما تصورت أن بإمكانها إظهاره:

- أجل... عرفت السبب.

في تلك اللحظة فتح جاكسون الباب، وأعلن وصول أول

الضيوف.

كانت حفلة ساحرة، ككل حفلات تريشور ستار... تحدثت ماثي إلى جيروم مسرورة بشخصيته غير المعقدة، التي تجعل التعامل الاجتماعي معه متحرراً من كافة التعقيدات، وكانت تعي أن أنظار بعض المدعوين المسنين مركزة عليهما مع شيء من الاهتمام.

اكتشفت فجأة أنها كانت تفكر مما جعلها لا تثبه لما يقول

جيروم... فسارعت تعتذر:

- اوه... آسفة جيروم كنت أفكر في أمر آخر.

فضحك لها:

- لا بأس في هذا. أنت حين يتقل واجبات المضيقة؟

- إنها فعلاً ثقيلة.

- لا تقلقي... حقاً... أنت رائعة في هذه الأمور... إن

تدريبات تريشور نافعة نعم، لكنك تملكين نظرياً قدرة تجعلك تتجحين اجتماعياً.

- ربما لأنني أهتم حقاً بما إذا كان الناس يتمتعون أم

لا... لا أظنني أبداً أن يخرج أحد ولديه إحساس بانس أو

ملل.

- أنت طفلة لطيفة، وهذا هو سرّك على ما أعطفه، وأراهن

على أنك قادرة على إنجاح كل شيء... أعني... إن لك قدرة

هائلة على أن تكوني مضيقة عظيمة.

- اعلم أنني قد أحب ذلك جداً.

ثم استدارت لتحدث مع ضيف آخر... لكنها ما كانت

سعيدة لانشغالها الدائم بواجباتها، وتحدثها مع الناس... ووجدت نفسها تتجنب النظر إلى وجهها، أكثر مما هو



ضروري...

هل أحس بأنها، قبل وصول أول ضيوفهما، قد رمت تحدي كبيراً في وجهه؟ وإذا كان هذا صحيحاً فهل سيحملة على محمل الجدا؟ أم يعتقد أن لا أهمية للأمر كله؟

بينما كانت مائي تتحدث وتصغي، وتبسم، كانت مندفعاً دون انثناء إلى اتباع أفكارها بين الحين والآخر. إنها تؤمن بأن المرء لا يستطيع أن يحافظ على حاجز بينه وبين من يحبه.

قد تتاح لها فرصة محادثته بعد خروج الجميع. وعندها ستكون هادئة غير غاضبة، ولن تنتقده بقسوة. بل ستشير بيروء إلى أنها تعرف كل ما فعله مع جيري، وأن تصرفه خبيس.

ارتعدت قليلاً وهي تطلق لفظة «خبيس» على وصيها لكنها قررت أن هناك كلمة ألطف من هذه ستجدها لاحقاً.

لكن حتى بعد أن رحل الضيوف لم تجد هذه الفرصة فقد سمعت جيروم يقول لوصيها بعصية:

- هل أبقى قليلاً لإجراء حديث قصير؟ أريد التحدث إليك عن أمر ما.

- طبعاً...

والنفت إلى مائي:

- لن أنركك مستقظة... تصبحين على خير يا عزيزتي.

ابتسمت لجيروم وقالت:

- تصبحان على خير.

وبينما هي تصعد الدرج، أحست بأنها تعمدت تجنب تقبيل وصيها قبله المساء متذرة بوجود جيروم... وما صدمها أكثر أنها تعمدت إيجاد ذريعة لهذا.

خلعت فتاتها المطرز في غرفتها وارتدت رويماً أحمر، فأبرز اللون دفاً وثراءً لونها. كانت تشعر وهي تزوره بدفاً الصوف الناعم على جسدها.

تساءلت لحظة عما إذا بالغت في أهمية ما قد يكون تسرعاً وتهوراً من وصيها... لكنها تعلم علم اليقين أنه لا يتصرف تحت تأثير اندفاع مونتور. فكل ما يفعله مدروس كل الدراسة لغرض ما.

لكن لماذا قرر الاحتفاظ بها أصلاً... فليس دافعه لطفاً أو شفقة على يتيمة... وليس لأن الناس يعتقدون أن هذا واجب عليه. فهو لا يهتم أبداً برأي أحد. ومع ذلك كان مصحماً على الاحتفاظ بها. ترى أقرّر ذلك لأنه تعلق بها؟ نعم هذا هو السبب، إذ لا شيء قد يفسر لطفه وتسامحه معها غير ذلك.

إن إيجاد الأعداء لأصعب عليها من الأمر نفسه.

فلماذا لا تترك الأمر عند الافتراض بأنه مجبر على تحمل مسؤوليتها بناء على وصية كارولين، ويبدو أنه بعدما نفذ الوصية أحب ما قام به أكثر مما توقع.

أحست بما يشبه الحنين، فتساءلت مائي ما إذا كان قد كره كما كرهت، خلافاً للمتعلق بجيري. ذلك الخلاف الذي حدث منذ مدة، وهل يخشى أن يتكرر هذا الخلاف لذا تجتبه بأي ثمن.

لكنها بعد إمعان في التفكير، وجدت أن ليس هناك ما يخشاه تريثور فعلاً، لكنها مهما كان متفانحه بالموضوع غداً.

نهضت مائي من حيث كانت تجلس ثم دنت من الباب فأرهقت السمع فإذا بأصوات مختوفة تنهاى إليها من الرعدة في



الأسفل. ثم بصوت الباب الخارجي يقلل وهذا يعني أن جيروم قد رحل. ووصيها على وشك الصعود إلى غرفته، أو على وشك القعود للمطالعة.

إن قصد غرفته لتؤجل النقاش حتى الغد، أما إذا بقي في الأسفل، فستذهب إليه.

أنصت دقائق لم تسمع خلالها سوى ضريبات قلبها التي دون بشكل غير طبيعي... ما عادت تسمع صوتاً من الأسفل، إذن لقد قرر عدم الصعود إلى النوم.

فتحت الباب، تبلع ريقها بصعوبة، ثم نزلت دون أن تصدر صوتاً على الدرجات.

كان جالساً قرب النار، لكنه لم يكن يقرأ كما افترضت. بل كان، مثلها غارقاً في أفكاره. ارتحفت قلبها وهي تشعر بأن أفكاره سوداء كنية.

ما إن خطت إلى الغرفة حتى رفع رأسه دهشاً:

- أهلاً عزيزتي... أتريدين التحدث إلي؟

- أجل... ولا أظنك دهشاً؟

فكر مبتسماً ابتسامة باردة ثم قال مسامحاً:

- لا... لا أظنني دهشاً، تعالي واجلسي قربي.

مد يده ومرّر لها كوسياً، لكنها تجاهلته وجلست على البساط تحت قدميه. اتسعت عيناه وهو ينظر إلى شعرها الأسود قائلاً:

- حسناً... وأنا أود مكالمتك أيضاً... فمن يبدأ؟

- لقد بدأت أنا الكلام!

بدت عليه الدهشة:

- حقاً؟

- أجل... قبل وصول الضيوف.

- يا عزيزتي... نيت. بالغبائي!

صاحت، وقد أحست به حرارة الغضب فجأة من برودته:

- لا لم تنس، فأنت تعرف يقيناً عما سأتكلم... لكنك

فضلت التجاهل بطريقة ناعمة. وظننت هذا ذكاء! وهذه على ما

يبدو طريقتك في التعامل معي. أنت تتعد عن الشجار مع طفلة

ليسير كل شيء على ما يرام، تتدبر الأمور من وراء ظهرها،

وتجعل كل شيء يسير كما تشتهي! هذا تصرف كرهه! لماذا

لست صريحاً معي؟ أنت تهينني بتصرفك هذا. وهذا ما يقلل من

قيمة المحبة التي بيننا. الناس لا يتعاملون بهذه الطريقة حين

يتعاملون متساويين الاحترام.

غلب عليها التأثر فجأة، ففاضت عواطفها، وأجهشت فجأة

بالبكاء، لكن بدلاً من أن تنفر منه، وضعت رأسها على زكبتها،

وراحت تتحبب كطفلة. فوضع يده على رأسها:

- يا طفلتي العزيزة!

انحنى إلى الأمام واحتواها بين ذراعيه قائلاً:

- اصمتي... لا تبكي هكذا! لا شيء يستحق بكاءك!

شبهت مائتي، مع أنها أحست بالراحة بين ذراعيه:

- بل يستحق.

- حسناً... خذي الأمور بهدوء يا حبيبتى، وإلا لن أستطيعي

شرح الأمر لي. وأنا الآن أجهل فصلك.

توقف البكاء فجأة:

- أعني... أعني أنك لا تعرف عما أتتكلم؟



فانتم لاساً خدعها بيده:

- لا أعلم أبداً عما تتكلمين.

- أنا أتكلم عن جيري وعن الأمر الذي أصدرته طالباً من

الابتعاد عني، وعن جعلي أعتقد أنه تخلى عني...

بدت الدهشة الحقيقية عليه وهو يقاطعها:

- الله! أهدأ الكلام وهذه الدموع كلها من أجل مايسون

الشاب؟

- بل هي بسبب الطريقة المفرفة التي تصرفت بها معه.

نظر إليها بسخرية حنون:

- لقد سبب اكتشافك غلطتي هذه الدموع!!! يا طفليتي

العزيزة، ما هذه اللحظة الغريبة لإثارة موضوع كهذا. ظننتك

تريدين الكلام عن أمر مهم وملح أكثره أمر كالذي أردت

مفاتيحك به على الأقل.

- لا أفهمك.

- ألم نفهمي؟ هل عرفت لماذا أراد فالكون التحدث إلي؟

- جيروم؟ لا... ماذا يريد؟

ضحك ترفقور:

- أظنك أحياناً ساذجة مائي... لقد بقي جيروم هنا ليطلب

مني يدك. وليستوضح ما إذا كنت أعتبرك صغيرة على الزواج.

تسمرت مائي فجأة بين ذراعيه... وسألت ببطء:

- وماذا.. ماذا قلت له؟

- قلت إنني لا أعتبرك صغيرة جداً، وإن لا شيء يسعدني

أكثر من رؤيتك متزوجة به.

- لكن هذا غير صحيح.

- بالطبع هو صحيح!

- وأنا التي ظننتك لا تريد أن أبتعد عنك...

- حبيبي... لا أريد أن تبتعد عني، ولذا أنا في غاية

الشوق حتى تتزوجني من رجل يعيش في الجوار.

- أتحب أن أعيش في قصر غراي؟

ساد صمت غريب قصير. ثم قال بهدوء:

- ليس بالضرورة... بما أن لا أحد منكما مهتم بالقصر،

فقد فكرت في الوصول إلى تسوية، فتحصلان أنتما على التديان

متون وأسترجع أنا ما رغبت فيه دائماً، أسترجع قصر غراي.



www.rewity.com



جيروم .

- لكن يا طفلي الحبيبة، لقد شجعتك بكل وضوح .  
- اوه . . لا ! لا . . أهدأ هو الانطباع الذي أعطيتك؟  
- بكل تأكيد . لقد شعرت بأنك تسعين إليه .  
أحست ماني بالرعب . ثم أدركت فجأة أنها لم تكن تصغي  
لرأيه غير المهتم . . وأحست بالبرد وهي تراه يتعمد تفصيلها .  
فتمتت :

- يجب . . أن أتحدث إلى جيروم .

- طبعاً . . وأظن أن لديك ما تقوله له .

- ربما لا أريده زوجاً .

- هذا الأمر وقف عليك تماماً يا عزيزتي .

وقفت ماني على ركبتيها فوق البساط ولقت ذراعيها حوله ،  
وقالت متوسلة :

- أنت تريد أن أختار ما يجعلني سعيدة حقاً؟

- بكل تأكيد عزيزتي! لكن أعطيني حق تقديم نصيحة لك  
تتعلق بسعادتك .

- اجل . . طبعاً . . طبعاً . أعرف هذا . . لكن ، إذا لم أرغب

حقاً بالزواج من جيروم ، فهل ستجبرني لأنك تريد استعادة قصر  
غراي والسكن فيه؟

أحست به يتصلب ، لكنه قال ببرود :

- يا طفلي الحبيبة ، لا أستطيع إجبارك على شيء ، حتى

ولو كنت أتمناه ، أنت حرة تماماً في قبول جيروم ، أو تأخير الرد  
حتى تصبحي أكبر سناً ، وأكثر حكمة .

وجدت نفسها تتساءل عما إذا عرف أنه قد تعادى كثيراً ، أم

## ٨ - رجل لا يلين

لم تصب ماني من قبل بالإعزاء ، لكنها اعتقدت أنها فقدت  
الوعي لحظات بعد توقف وصيها عن الكلام . لقد أظلمت  
الغرفة فجأة أمام عينيها وما عادت تشعر بشيء إلا بخفقات  
قلبها .

أحست وكأن الأرض ماتت بها وانفتحت تحت قدميها ،  
كاشفة عن هوة سحيقة ما اعتقدت أنها موجودة يوماً .  
لم يلاحظ أنه ألقى الأمر كله عارياً أمام نظراتها السذجورة؟  
أم ظن ، كما قال منذ دقائق ، إنها غيبية لا تروى إلى أين تقود هذه  
الأمور؟

فغرضه من تزويجها بجيروم قصر غراي ليس إلا قصر  
العائلة الذي نافي دوماً إلى استرجاعه .

لم يكن ليعلم بالطبع أن جيروم قد يقع في حبها . . لكنه  
جعلها امرأة ساحرة المظهر . ثم رماها في طريق جيروم . . الآن  
فهمت لماذا رفض جيري .

وسمعت وصيها يقول :

- ماني ، يا طفلي . . لماذا الصمت؟

فهمت :

- كنت . . أفكر . فأننا لم أفكر من قبل في الزواج من



أنه فعلاً يعبر عن رأي صادق. لكن معالم الوضع العادة بدأت تخف وتضمحل.. أكانت تفكر فعلياً في طريقة درامية؟ وهل حكمت على وصيها الحبيب حكماً جائراً ظالماً؟

تهدت وقالت بطفولية:

- لا أريد تركك والزواج من أي كان.

فضحك وقبلها:

- لا بأس حبيبي... لا تفكري في الموضوع الليلة.. لكن

تذكري، إن تزوجت جيروم تبقين قربي، وعندها سأراك يومياً وستصبحين السيدة فالكون، زوجة المحافظ، وستملئين المركز بسحرك... والآن هيا إلى الفراش.

تذكرت فجأة أمراً، فاستدارت وإحدى ذراعيها حولها:

- ثمة أمر آخر فقط يتعلق بجبري. سأشعر بالذنب إن لم

أفاتحك به.

بدا عليه المرح:

- حسناً.. ماذا تريد من القول؟

- حين زارنا لتوديعي، هل قابلته؟

- أجل.

- وقلت له إنني غير موجودة؟

- أجل.

- لكنني كنت موجودة.. وكانت تلك كذبة.

رفع حاجبيه وقال بخشونة:

- لم تكن كذبة تنقل فسميري، على كل الأحوال حين عرف

أنك قريبة ويمكن استدعاؤك، فهم بنفسه أن الأمر لياقة اجتماعية

القصص منها أن أقول بأنني أفضل أن يكون لك أصدقاء من نوع

آخر.

- لكن لماذا؟ تصرفك هذا غير منصف وغير مبرر أيضاً.

- مائتي.. لقد مررتنا بهذا من قبل، وأنا، لست مستعداً

لخوضه ثانية خاصة في مثل هذا الوقت من الليل. وأظنك

تعترفين أنني لست وصياً قابلاً.. فأنا لا أطلب منك سوى

القليل أما الكثير فمتروك لك..

- اوه... صحيح.. حقاً ولا تحبني ناكرة جميلك

ولطفك.

- حسن جداً.. أنا لا أريد التأكيد على هذه النقطة، فمن

توابعي سعادتي أن أدلك إلى حد معين.. لكن في حالات

محددة، حين أطلب الطاعة..

- طاعة من غير سؤال؟

- نعم طاعة عمياء. ولك في المقابل الدلال.

- لكنك لو قلت لي الحقيقة يومها لما شعرت بهذا

الإجحاف؟

- إذن، أخشى أنني سأسلك سبلاً مثنوية في كل شيء. إذا

كان هذا يعني علاقات هادئة مسالمة بيني وبين فتاة مشاكسة.

تعرفين ما كنت ستعلمين لو أخبرتك بما حدث مع جيرتي؟

- كنت سأغضب وسأحاول إقناعك بتغيير رأيك.

- بالضبط، إلا أنني لا أرى سبباً يدفعني إلى عرض نفسي

أمام انتقاداتك لذا فضلت أن أسعى إلى سعادتك مستخدماً

طريقتي. ولا أحسبني رأيك حزيناً في الأشهر المنصرمة.

قالت بنعومة:

- مال وقير.. شروط جيدة.. دون أسئلة.



نظر إليها بحدة:

- أهذا نوع من التائب؟

- لا.

- إذن، هل لنا أن نعتبر موضوع جيري مقللاً؟

أخفضت نظرها وقالت بصوت خفيض:

- ثمة ما تتجاهله وهو أنني متعلقة بجيري. وأظنه متعلق

بـ

سمعته يتنفس بحدة وانزعاج، وقال بخشونة:

- نحن نعود إلى نقطة الصفر يا ماني ولست على استعداد

للف والدوران في حلقة مفرغة. إن موضوع تعلقك بشاب، لا

تعرفين سوى القليل عنه ليس بلدي أهمية، في هذه الملاحظات.

لكن إن أردت تحليل مشاعرك تحت المحهر، فأقترح أن تحللي

مشاعرك أيضاً تجاه جيروم فالكون، الذي طلب لتوء بذلك.

- لم يسألني بل سألتك.

ضحك تريفور، وفرك لها شعرها فأحست بالراحة:

- حسناً، طلب مني أن أذن له بسؤالك. وهذا إجراء

محترم. نظراً لسك ومركزك. والآن اذهبي إلى النوم. فأعتقد

أنني تلقيت من التوبيخ ما يكفي لي ليلة واحدة.

توجهت إلى غرفتها ببطء، فأوت إلى فراشها، لا لتنام بل

لتفكر في أمور كثيرة.

ولم تكن تلك الأفكار مشاكل منفصلة عن بعضها بعضاً

بالطبع. بل هي متشابكة بطريقة مخيطة معقدة.

ثم تذكرت الطريقة التي كان ينظر إليها جيري دائماً حين

نصّر على محبة وصيها لها. لكن أتى لجيري، أو لأي شخص

آخر، أن يعرف العلاقة الوثيقة الموجودة بينها وبين تريفور الذي

هو شخصية حقيقية، ومميزة.

لكن أتخدع نفسها؟ أيكون ذكاؤه غير موجود في مخططة

الذي بدا بسيطاً؟ أتكون غايته وضع زمام حياتها وعواطفها بين

يديه؟

أمامها العديد من الأفكار إلا أن أهمها موضوع جيروم

السهل الانقياد الذي يريد مشاركتها حياته. فكرت بعض الوقت

في وداعته ولطفه ووجدت أن الحياة معه ستكون سهلة مباركة،

وهذا ما يناسبها.

لكنها لم تستطع أن تتصور الحياة الزوجية معه في قصر

غراي أو في النديان ستون. . . وبذلك انقلبت أفكارها إلى الجزء

الأخر من المشكلة. . . هل قام وصيها بالفعل بشد الخيوط وهل

هي وجيروم يستجيبان إلى ماني؟

إن فكرة الزواج في كل الأحوال بعيدة عن تفكيرها في

الوقت الحاضر. . . جيروم لطيف وديع وسيكون زوجاً رائعاً

ربما لأية فتاة أما لها فلا.

وهذا بالضبط زبدة ما قالته له في اليوم التالي.

كان قد وصل باكراً، وحين دخلت ماني إلى غرفة الجلوس

رأته يقف هناك جاداً بطريقة يشوبها بعض التفهم.

- مرحباً ماني. . . هل أخبرك تريفور عن حديثنا بالأمس؟

حسناً. . . فكرت في الحضور لأراك هذا الصباح. يبدو أن الوقت

مناسب للتحادث.

- أجل. . . بكل تأكيد جيروم، كنت لبقاً حين تكلمت مع

السيد ستار أولاً. . . طالباً الإذن منه.



- حسناً.. يبدو هذا قديم الطراز قليلاً، لكنك صغيرة جداً

- لا أشعر بأنني صغيرة الآن. أنا شابة يا جيروم لكنني لا أريد أن أتزوج في الوقت الحالي. ربما هناك فتيات كثيرات يتزوجن عن عمر صغير أما أنا..

- لا أريد ربطك بأية طريقة مائي، كل ما في الأمر أنني أردت أن تعرفي حقيقة مشاعري، وأن تفكري في الموضوع ملياً. فأنا أحس بالخوف كلما نظرت إليك رجل آخر، وأجدني أحسب نفسي غيباً إن وقفت متفرجاً تاركاً رجلاً آخر يخدم منك، لا لسبب إلا لأنني أنتظر أن تصحبي أنسب عمراً.

ضحكت مائي على طريقة شرحه للأمر، وقالت:  
- أفهم وجهة نظرك. أنت لطيف جداً يا جيروم. وأشعر بأنني شريرة إن لم أعطك الرد القاطع..  
- يا إلهي.. لا.. لا بأس في هذا بل أشكرك لأنك أعطيتني بعض الأمل، فقد خشيت أن تقولني إن الشاب الآخر..

- أي شاب؟

- حسناً.. كان لدي فكرة.. تريشور ظن أن هناك شاباً آخر.. ولا بأس في هذا مائي، لم يذكّر اسماً.. لكن..

- هل تمنح لك إلى أنتي.. مهمة بشخص آخر؟  
- لا.. ليس بالضبط.. لكنه أراد أن يفهمني أنني لست الوحيد في الملعب.

- وأن عليك الإسراع لتسوية الأمر؟  
- أجل.. مع أنني فكرت في الأمر مسبقاً.

- لا... بل الفكرة حشرت في دماغك.

- اوه.. توقفي عن هذا مائي! أن يحب رجلاً امرأة ليس بالأمر الجديد، والإنسان حين يحب يرغب في الإسراع للحصول على حبيبته.. فماذا دهك عزيزتي؟  
رفعت مائي يديها تدفع شعرها إلى الوراء:

- لا شيء.. جيروم.. لا تحسبني مجنونة.. لكن هل فكرت يوماً في أن تريشور ستار يخطط لهذا الزواج؟  
- يخطط له؟ يا إلهي مائي! لا أحتاج إلى رجل آخر ليخطط لي طلب زواج.. أعتقد أني لا أعرف صفات الفتاة التي سأدخلها زوجة؟ حذار من هذا الافتراض لأنني أنا من فاتحتك بالأمر أولاً.

- اوه.. لا.. لا.. لا أقصد ذلك. علسي كسل، أظنتني مجنونة.  
- لا أفهم.

- لا بأس في هذا جيروم.. إنها فكرة مجنونة خطرت على بالي.

- تتعلق بستار؟

لم ترد عليه فأضاف بريئة:  
- أتعنين أنه كان متحمساً للفكرة؟ لقد قال إنه سيكون سعيداً بجعلك تقبلين بي.

- أجل.. أتعرف لماذا؟ لأنه يريد مني أن أقنعك بالعيش في انديان ستون حتى تترك له قصر غراي.. اوه.. ما كان يجب أن أخبرك!

حدق إليها جيروم مدعولاً، دهشاً ثم قال ببطء:



- كرري ما قلته ثانية .

- اوه .. لا .. لا .. مرة واحدة تكفي .

ضحكت مالي مرتجفة ثم وفقت تراقب تعابير جيروم تتغير على وجهه بسيطه .. فبدأت بريئة فعدم تصديق ثم عناد مستعصي، جعله يضغط على فكه بطريقة لم ترها قط . وأمسك يديها ليقرّبها منه !

- انظري مالي .. ليس لسنا أية علاقة بهذا .. ستعيشين أينما شئت، إذا تزوجتني . في غراي أو انديان سون، أو أي مكان في أميركا كلها . الأمر وقت على ما نقرر . ولن أقبل بأن يكون زواجي صفقة .

- لا بأس في هذا جيروم .. لا بأس .

كان ما يزال ينظر إليها وفي نظره شك . فابتسم له وكررت :

- لا بأس أبدأ جيروم .. لقد استحوذت علي فكرة مجنونة بعض الوقت . لكنني أدركت الآن أنها فكرة سخيفة . لا تفكر فيها أبداً، وأعوذ فأشكرك لطلبك يدي، وأنا أحس حقاً بالإطراء .. والآن أرجوك لا تعتبر نفسك مغرماً بأية طريقة ..

- اوه .. ولكنني مغرم .

- لا .. أرجوك، أنا لن أطلب وقتاً محدداً للتفكير، أتركك خلاله معلقاً بل أريد أن أتأمل وأن أعيش بعض الوقت قبل الارتباط بأي كان، أريدني حرة كما أريدك أنت حراً . وهذه الطريقة العادة الوحيدة .

كانت مالي في الأيام القليلة التالية تتأرجح بين التفكير في أنها أساءت الحكم على وصيها، وبين الوثوق بأن ربيتها في

محلها . فوصيها يتعمد زجها إلى الزواج من جيروم في سبيل مصلحته . وها كل شيء يسير تقريباً كما يريد . فلقد خرج جيروم بطريقة ما من حياتها وأصبح جيروم رفيقاً دائماً، وكأنه فرد من أفراد العائلة .

قالت مرة لوصيها :

- أنظن أننا يجب أن نشرك جيروم في أمورنا كلها تقريباً؟

- ألا تريدون دعوته يوم الخميس؟

- اوه .. لا أعني أنني أعترض على وجوده . فأنا أحب أن أراه دائماً . لكن ما أخشاه أن أوحى إليه بأن هناك خطوة ما قريباً وهذا غير صحيح .

- اوه .. أعتقد يفهم الوضع تماماً . فلا تقلقي . ولن ندعوه يوم الخميس إذا أردت . لكنه سيعرف أننا أقمنا حفلة واستقبلناه منها .

- لا أريده أن يتساءل .. ادعه بكل تأكيد . لكن في المرة القادمة ..

- لن أثير فيه أملاً زائفاً .

بالت بواذر الربيع تلك السنة باكراً، فراح جيروم يصطحبها للفروسية في النادي يومياً، وما ذلك إلا لأن تريفور قال إنه لا يحب ركوب الخيل إلا في الريف . فكان أن رافقها جيروم مرة أخرى . وفي صبيحة ذات يوم قال لها جيروم إنه لن يتمكن من البقاء أكثر في المدينة .

- اوه جيروم سأفتدك . متى سترحل؟

- في الأسبوع القادم . لدي قضية قانونية تتعلق بحدود أملاكني، ويجب أن أكون هناك في الأسابيع المقبلة . وأعتقد



أنتك لن تسافري إلى البلدة قريباً؟

- لا أظن هذا.. فالسيد ستار سيقضي في المدينة حتى عيد  
القصع على الأقل.

- آه.. هذا ما كنت أخشاه.

بعد رحيل جيروم، كان لمائي رفقة وصيها فشعرت  
بالسعادة، لأنها أحست بأنها أقرب إليه مما كانت منذ أن عرفت  
تصرفه مع جيرري.. ومع أن تدليله لها كان قليلاً إلا أنها كانت  
واثقة من حبه لمرافقتها.

حين أزعجها مرة مداعباً إياها قائلاً إنها تظهر السعادة كلما  
رأت شيئاً جديداً كادت تقول له إنها تشعر بالغبطة لأنها ترافقه  
هو لا جيروم.. مع أن جيروم طيب ولطيف.. لكن شيئاً ما  
قال لها إن مثل هذا التصريح، لن يكون مقبولاً فكبحته.

ثم في أحد أيام شباط وبينما كانا يعمدان أدراجهما إلى  
المتزل معاً، سمعا صوتاً مألوفاً تحبه مائي وهو صوت لينا  
الجميل الصداح:

- مرحباً عزيزاي! ماذا تفعلان في هذا الجزء من العالم؟

قالت مائي وهما تتصافحان:

- كنا في طريقنا إلى المتزل.. فنحن نعيش في هذا  
الشارع، كما تعرفين.

رد تريفور ستار التحية ببرودة ثم ارتد مستنداً إلى الحائط  
ليراقب منظر لينا الساحر ووجهها المندهش في آن معاً..  
وقالت:

- أنتبشان هنا؟ هذا غريب.. كنت منذ قليل أنفقد أوضاع  
شقة مفروشة في هذا الشارع، وقررت أن أستأجرها فأنا وجيرري

مضطربان لإخلاء المنزل الذي نعيش فيه الآن.. أليس غريبة  
الصدف؟ ستكون جيراناً، كما كنا في الريف.

واستقام تريفور فجأة فابتسمت له بسحر قد يحتوي على  
شيء من الخبث.

كانت الأفكار تتسارع في رأس مائي، لكنها كانت تتأمل  
وصيها الذي لا شك يبحث عن مخرج لائق يرد به على لينا.  
لكن السيدة قالت قبل أن يقول شيئاً:

- منرى بعضنا كثيراً، سير جييري حين يعلم يا مائي.

اجتازا المسافة القصيرة التي تفصلهما عن المنزل بصمت  
متوتر قطعته بقوله:

- هل أفهم أنك ما كنت على علم بهذا الأمر مسبقاً؟

- لا.. فلست ممن يتنبأ بالغييب.

وتوقفت المسألة عند هذا الحد.

لكن بعد أقل من أسبوع قال لها أثناء تناول الفطور:

- أرجو ألا يخيب ظنك مائي، لكننا مضطربان للعودة إلى

المتزل قبل الموعد الذي حددته.

- هل ستترك تشبرغ؟ متى؟

- لا أظننا سنعود هذا الأسبوع.. بل الأسبوع المقبل لأن

لدي أعمالاً تتطلب اهتمامي.

أحست بالحرارة تتصاعد إلى وجهها ثم تتلاشى ليحل

مكانها البرود.. وقالت بصوت منخفض واضح:

- السبب هو جيرري؟

- يا طفلي العزيزة.. أنت تطرين جيرري مايسون أكثر من

اللازم.. هل تعتقدين حقاً أنني أرتب أموري بحسب تحركاته.



وبدا لها اتهامها الغاصب سخيفاً حتى تمننت لو امتنعت عن  
التفوه به ويبدو أن وصيها قد فهم شعورها، إذ قال:

- أعلم أن هذا الخبر أحبط عزيمتك، لكن أماننا بعض  
الوقت قبل العودة إلى انديان ستون التي هي في هذه الأيام  
ساحرة جميلة.

- لا أشك في هذا.. على كل الأحوال، أحب انديان  
ستون في أي وقت من أوقات السنة.

كانت هذه طريقة تعتذر فيها عما بدر منها، إلا أنها لم  
تستطع التغلب على خيبة أملها لأنها ستترك المدينة في الوقت  
الذي سيكون فيها جيري.

أملت أن تقابله صدفة قبل رحيلهما.. لكنهما رحلا إلى  
الريف في يوم مشرق مشمس من أيام شهر آذار، ولم يكن هناك  
من أثر لال مابسون.. إنه حظ سيء، طبعاً، لكن المرء قد  
يقع بحظه السيء إذا لم يكن مدبراً.

اتصل جيروم بها في الليلة التي وصلا إلى انديان ستون  
وقال لها إنه مسرور بعودتهما المبكرة. كانت مسرورة أيضاً  
لكنها أدركت أن الوضع الذي كانا عليه في المدينة سيعود الآن.  
إلا إذا فعلت شيئاً بهذا الخصوص.

قال لها عبر الهاتف:  
- متى أراك ماثي؟ فليكن اللقاء في أقرب وقت ممكن.. ما  
رأيتك بالعد؟

- سأتصل بك في الصباح جيروم.. ربما بعد الظهر.  
عندما ابتعدت عن الهاتف بدت حائرة، تتذكر متألماً  
السعادة والثرقب في صوته، رفع وصيها رأسه حين عادت إلى

غرفة الجلوس، وابتسم لها:

- حسناً.. ما الذي جعلك متجهة هكذا؟

- اوه.. لا شيء.. على الأقل.. كان جيروم المتصل.

وبدأت تصب القهوة، فقال:

- هذا ما اعتقدته.

- وكيف عرفت؟

- تُرى من سيكون متلهفاً لعودتك سواء؟

- حسناً.. لينة غير مهتم بي إلى هذه الدرجة.

تناول فنجان القهوة بصمت، لكنها وجدت أن صمتها لا  
يعجبها، ثم سأل بعد توقف:

- ولماذا يا ماثي؟

- حسناً.. الموقف يخرج من يدي.. لقد أمنت التفكير ملياً  
في الموضوع ووجدت أنني رغم إعجابي به لا أريده زوجاً،  
ليتي أوضحت له ذلك منذ البداية، ولكنني ما كنت أعلم.  
...

- ربما لا تعلمين.. حتى الآن.

- لا.. بل أعلم.. وهذه هي المشكلة. ولهذا لا أستطيع  
ترك الأمور على ما هي عليه. ويجب أن أخبره غداً بلطف أن لا  
أمل بالزواج به.

حل الصمت مرة أخرى.. ثم قال بيروود:

- لو كنت مكانك لما فعلت هذا.

في تلك اللحظة عرفت لماذا يخاف الناس من تريفور ستار.



الشيء الوحيد الذي له وزن لديك .  
- لا أفهم .

- أنت تريد أن يتزوج جيروم بامرأة تقنعه بالتخلي عن قصر  
غراي . . أنت لا تهتم في الواقع بسعادتي أو سعادته . . .  
- هذا ليس صحيحاً . فسعادتك تهمني ، واعتقد أنك  
ستكونين سعيدة بالزواج بجيروم .

- وماذا إن كنت سأكون نعمة معه؟

- إن رأسك مليء بالهراءات الرومانسية ، ولا أفنك في  
حالة تسمح لك بالحكم السليم . . أنت أكبر من طفلة بقليل . . .  
و . . .

عادت ترد عليه ببغضه وكأنها تفكر بصوت مرتفع:

- ما عدت طفلة . . ربما كنت طفلة عندما وصلت إلى  
متزلج لكني ما من أحد قد يعيش معك دون أن يكبر . . وهذا  
ليس توبيخاً لك ، بل هو حقيقة مجردة . . ما يقوله الناس عنك  
صحيح . أنت رجل قاسٍ عنيد ومصمم . لكنني لا أنكر أنك في  
الوقت نفسه وصياً لطيفاً لا أظن أن هناك من هو أفضل منك في  
هذا المضمار .

تغيرت أساريره قليلاً ، ومد يده إليها بصمت ، وبعد لحظة  
تردد تقدمت منه ووضعت يدها بيده ، ثم أردفت:

- كنت مصمماً منذ البداية على تزويجي بجيروم .

- ولا زلت مصمماً .

تذكرت قول جيرمي: إذا تصادمت مصالحك مع مصالحه  
فهو يعرف تماماً مصالح من ستركن جانباً . ونظرت إلى اليد  
الجميلة القوية التي تمسك بيدها . . وقالت هامسة:

## ٩ - منجم الرحمة

رفعت ماني بصرها إليه أخيراً بجهد فظنت أنها لم تشاهد  
قط هذا البرود واللمعان في عيني وصيها الزرقاوين .  
وقالت بلهول:

- لماذا قلت هذا . . هكذا؟ جعلت الأمر . . تهديداً .

لم يتكرر هذا . . بل قال بيروود:

- كنت أوضح لك ، أنك مخطئة برفضك الزواج بجيروم .

- وما هي وجهة نظرك؟

- جيروم فالكون شريك مثالي .

ردت ببطء:

- لا أريد شريكاً مثالياً . أريد رجلاً أحبه ويحبني . هذا كل

شيء .

- يا عزيزتي . . أنت ساذجة إلى حد الإحراج . . فالحياة

بساطة لا تسير وفق هذه الشروط . جيروم فالكون مخلص لك .

إنه رجل مستقيم ، شريف ، لائق ، وثري ، وصاحب مركز

مرموق . إذا تزوجته ، لن تتعدي عني . . وهذا واقع ، على ما

أعتقد ، سعدنا معاً . فماذا تريدين أكثر؟

نظرت إليه ماني دون أن يرف لها جفن:

- لم تذكر السبب الحقيقي لرغبتك في أن أتزوجه؟ لم تذكر



- أنت . . . قلت مرة . . . إنك لن تجبرني على الزواج .  
- أظن أن ما قلته إنسي لا أستطيع إجبارك على الزواج

بجيروم .

- لكن هذا ما تحاول فعله الآن بالضبط! أنت تعرف أنني لا  
أستطيع أن أراك غاضباً مني، وها أنت تلجأ بكل الوسائل إلى  
أنني إذا تزوجت جيروم أبقي فتاتك الحية . وإن لم أتزوج . .  
ماذا ستفعل .

ابنم لها، لكنها لم تكن ابنة مطمئنة:

- جري هذا أولاً يا مالي .

- لن تبعدي عنك . . أليس كذلك؟

- قد أفعل .

ارتدت عنه:

- لا!

- اعلم أنني لن أرحب في فتاة مشردة تحت سقف بيتي .  
- هذا ليس بالمشرد . . إن اختياري الزوج الذي أريد ليس  
مشرداً .

- يا حبيبي! الخيار الأخير لك .

- لكن إن لم اختر الزوج الذي تريده، فهل تتخلى عن  
إدعاء حيي؟

رد بيروم:

- لكنني لم أدع قط أنني أحبك .

- أعني . . . أن حبك كان حقيقياً .

تقدمت منه لترجع إلى جانبه:

- اسمع . . . إذا تزوجت جيروم، وافتعه بالعيش في الدهبان

مشون . وتركتك تستولي على قصر غراي . . ثم حدث أن  
زواجي كان نعماً . فهل ستكون سعيداً وأنت تعلم أنني نعمة في  
المنزل الذي جعلتني أحبه؟

- لن تكوني نعمة .

- لكن، كيف تتأكد . . بل كيف تجبرني على الزواج برجل  
تريده أنت؟ ألا . . . ألا تهتم بما قد يحدث لي؟

رد بخشونة:

- تعلمين أنني أهتم .

صاحت مالي:

- ما عدت أعرف شيئاً عنك! أعرف فقط التعجب والأمل،  
والخوف . قال لي الناس أشياء كثيرة عنك، وأنكرتها غاضبة .  
دون أن أعرف ما إذا كانت صحيحة أم لا . . . وأنا . . .

صمتت مترددة، لكنه سألها بهدوء:

- أنت ماذا؟

- حسناً . . . أنا لا أستطيع تحمل سماع شيء يقال عنك .

- حتى ولو كان حقيقة؟

- حتى ولو كان حقيقة!

- كما حدث حين غضبت على السيدة شوكمان لأنها قالت  
إنني أشبه إبليس؟ رغم أنك في ذلك الوقت ما كنت تعرفيني؟  
- نعم، نعم، لكنني هذه المرة سأشيط غضباً لأنني  
عرفتك حق المعرفة .

أحست به يقبل شعرها، ويقول بنعومة:

- أيتها الغبية الصغيرة . . انهضي، لا تركمي لي .

- لم . . . لم أكن أركع لك . . ولم أقصد التوسل .



أبعدها بلطف عنه :

- حسناً .

سألك بعد صمت :

- ماذا . . ستمضل بالأمر؟

اعترف تريفور ستار للمرة الأولى بفشله :

- لا أدري ما أفعل .

ثم، وكأنه لاحظ غرابة ما قال، أضاف بنفاذ صبر :

- من الخير أن تذهبي إلى النوم .

التفت إليه أمام الباب فرأته يرقبها مفكراً، وما إن التفت

عيناها حتى أحست بتيار غريب من التفاهم بينهما. فماذا يهم

لو تخاطبا كعدوين منذ لحظات؟ ودون أن تقول كلمة عادت إليه

تعانقه وتقبله. فلم يقل هو أيضاً شيئاً، بل أمسكها بضمها إليه

لحظة، ثم أبعدها بلطف، كما فعل من قبل، فتوجهت رأساً إلى

غرفتها.

وهناك في غرفتها راحت تستعيد ما حدث. . وظنت أنه

ليس جاداً. فهو لن يبعدها عنه. ربما كان يحاول إزعاجها

بالمزاح بطريقته الخشنة. لكن من ناحية أخرى، قد يكون هناك

شيء من الحقيقة في فكرته. . ولن يلام لو قرر أن يدرّبها حتى

تكتسب رزقها بنفسها كأن تسكن في مكان آخر وتعمل. نعم هي

لن ترفض العمل، لكنها لا تريد أن يبعدها عنه غاضباً.

كان الوقت متأخراً حين غطت في النوم لكنها بعد أن

غفت، هاجمتها أحلام غريبة مقلقة، كان فيها وصيها وجيروم

غاضبين منها. إلا أن جيري وحده برز لها وهو يقول لها إن لا

يأس عليك، فقد يوظفها مديرة منزل في المكان الذي استأجره

وأمه ليسكنها فيه. ثم شاهدت نفسها تحاول إيجاد السيدة

هدسون وهي وجلة لتتعلم منها واجبات مديرة المنزل.

كان الوقت متأخراً حين استيقظت، فقد أغرقت أشعة

الشمس غرفتها.

ووجدت في الردهة أن إحدى المشاكل التي تخشاها، قد

تأجلت، فوصيها كان قد تناول الفطور وخرج.

- هل بلدا. . مرحباً سيدة هدسون؟

- مرحباً آنسة يروكتر؟ السيد ستار ليس بالرجل المرح. لكنه

لم يكن متزعجاً.

وافقت ماثي على كلامها. . وناولت طعامها بسرعة. ثم

قررت الاتصال بجيروم، لتوضح له ما في فكرها في أقرب

وقت.

حاولت الاتصال به هاتفياً مراراً ولم تنجح، فهاتفه

معطل. . . لكن يجب أن تراه اليوم، لكنها عادت فعدلت عن

رأيها وقررت الخروج للترهة. فارتدت معطفاً وخرجت من

المنزل.

كانت تكره ما ستقوله لجيروم، لذا راحت تسير على غير

هدى في طريق بعيدة طويلة، أوصلتها إلى تلة مرتفعة أمامها

أراض متراصة ليست كالتي أراها إياه جيري، لكنها أراض ريفية

واضحة للعيان، وفي أعلى المرتفع شاهدت على غير توقع

وصيها.

كان قد ترجل عن جواده منذ مدة، لأن الجواد كان يأكل

راضياً عشباً تديباً. وكان تريفور ستار يقف، ويداه في جيبيه،

ينظر إلى الوادي، ولم تكن بحاجة لاتباع نظره حتى تعرف أنه



ينظر إلى قصر غراي .

وقفت مقطوعة الأنفاس تراقبه ، فشعرت بأن مصيرها سيقرر بصمت في تلك اللحظات . أينظر إلى قصر غراي متسائلاً عما إذا كان يستحق معركة جديدة؟ أيهي . نفسه للتعاظمي مع الموقف بقسوة؟ أم سيودع القصر باستسلام متجههم؟

بينما كانت تراقبه ، أطلق تنهيدة طويلة تدل على نفاذ الصبر ، ثم هز كتفيه واستدار . حين استدار ، شاهدها تقف على حافة الوادي المفتوح ، تبادلًا للحظات النظرات ، وكأنهما ما زالا في تلك الغرفة ليلة أمس .

ثم تقدمت إليه فوضعت ذراعها في ذراعه ، وسألته بنعومة :  
- ألا تريد أن تتخلى عنه؟  
- لا . لا أريد .

ولف ذراعه حولها فقالت :  
- ومع ذلك ستتخلى عنه؟  
- أجل .

- لماذا؟

اتحنى ليقبل خدها الناعم ، ويقول بسخرية :  
- ربما . لأن سعادتك تهمني أكثر .

احتضته مائتي بحتان وهي تبذل ريقها بصعوبة فقال :  
- لحقت بي إلى هنا لتعرفي هذا؟

- اوه . . لا ! كنت أود رؤية جيروم . . وفكرت في أن أتخذ هذه الطريق الطويلة .

ضغط على شفتيه وكأنه يحاول السيطرة على غضبه بسبب تمردها وقال :

- حسن جداً . . اذهبي وسوّي المسألة .

- إلى أين ستذهب؟

أمسك سرج جواده وقال :

- أنا؟ لن أفسر الموقف لفالكون ، أليس كذلك؟

- اوه . . لا . . كنت أتساءل فقط .

- سأقصد مروج بلدة غراي . . لدي عمل هناك ولن أعود حتى الغد .

- وهل نستطيع الوصول من هنا؟

- ثمة طريق وعرة ، في التل الآخر .

- ألن تجد صعوبة؟

ابتسم لها :

- لا لا أعتقد . إن من يعرف الطريق جيداً لا يجد صعوبة

تذكر . لقد اجتزت هذه الطريق منذ الطفولة .

الحنى ليقبل وجهها :

- هيا . . اذهبي وسوّي أمورك مع جيروم . . وإن أردت شيئاً

تشغلين به وقتك حتى أعود فاكتبي رسالة لطيفة لصديقك جيري مايسون .

ثم ضحك ضحكة ساخرة غاضبة واعلى بعدها صهوة جواده وانطلق قبل أن تعلق مائتي بشيء .

بينما كانت تقصد القصر سمعت هدير سيارة تتقدم . .

التفتت إلى مصدر الصوت فإذا بها ترى جيروم الذي توقف فجأة وخرج ليمسك بكتفيها :

- مائتي يا عزيزتي ! كنت أقصد انديان ستون لأراك .

- وأنا كنت أقصد قصر غراي . . جيروم ، ثمة ما علي أن



أفوله لك ربما لن تكون مسروراً مما سسمع. لكن يجب أن تعرف.

- هل أنت مخطوبة لرجل آخر؟

- لا.. لا شيء. من هذا القبيل.. وأنا آسفة جداً جيروم، فقد تأكدت الآن أنني لا أريد الزواج بك. لذا أرجو ألا تتعلق بي أكثر من هذا سبب..

اسم باختناق وقاطعها!

- لا أستطيع منع نفسي. فأنت من فئة نادرة من الفتيات.

- نعمة فتيات كثيرات من فتتي.. أشعر بأنني كنت متوحشة لأنني تركتك تأمل طويلاً.. لكنني حاولت صدفاً منذ البداية.. لكن..

- لا بأس مائي. أنا كذلك حاولت استعجالك في البداية، وكنت صريحة معي. فلا تلومي نفسك عزيزتي. ربما هي ضربة موجعة لي، لكنني لا أدري لماذا بقيت أملاً.. حسناً.. أعرف الآن رسماً أن لا أمل. لكنني لن أفتش عن فتاة أخرى قبل أن توافقني على شخص آخر.

ضحك باضطراب، فقالت بجد:

- حسناً، وأنا أتمنى أن تقول لك فتاة لطيفة أخرى لأجل، أقبل بك يوماً ما. أنت لا تفكر في هذا الآن.. لكن.. الله وحده يعلم كم أتمنى لك السعادة يا جيروم.

ضحك، مجبراً على المرح:

- سأعيش.. وكيف كان وقع الخير على سارا؟

- خاب أمله بداية، لكنه وضع سعادتني في الدرجة الأولى. تركته منذ قليل، كان يركب جواده سالكاً المروج وصولاً إلى

غراي للقيام بعمل هذا الصباح.

- غراي؟.. لا يستطيع أن يسلك طريق المروج اليوم.

فينسفون الطريق القديمة قهراً، وقد أقتلوا جميع المنافذ إليها. ألم تترككم الشرطة هاتفيًا؟

- إنهم.. إنهم ماذا؟ لا غير ممكن!

وشحب لون مائي شحوب الأموات، فأمسك بها جيروم مطمئناً:

- لا بأس عليك مائي! لا تنهاري هكذا. لقد اتخذوا كل التدابير الاحتياطية.. سيعيدون ترميمهم قبل أن يصل إلى الطريق.

- لم يسلك الطريق المعروف!

- ماذا تعين؟

- قلت لك إنه سلك طريقاً بين المروج، طريقاً قال إنه يعرفها منذ الطفولة.

- كيف يسلكه؟ الأبله! لقد نشرت الصحف المحلية تحذيرات منذ ثلاثة أسابيع.

- لكننا وصلنا بالأمس فقط.. ولم يهتم بالنظر إلى الصحف القديمة.

- أمينة من أن الشرطة لم تحطركم هذا الصباح؟

هزت رأسها ثم تذكرت:

- لا.. كان الهاتف معطلاً حين حاولت الاتصال بك هذا الصباح. جيروم.. كيف كان له أن يعرف! أوه يا إلهي.. هذا

رهيب! كم الساعة الآن؟

نظرا معاً إلى الساعة وصاحا معاً:



- اوه . . عشرون دقيقة حتى منتصف النهار .  
وأردفت ماثي :

- يجب أن تلحق به . . يجب أن ألحق أنا به .  
أمسك بيدها :

- لا تكوني حمقاء . لا يستطيع أن يلحق به أحد من تلك  
الطريق حتى تنتهي عملية النسف . لن يسمحوا لك بالذهاب .

- لكنه سيقتل يا جيروم !

- يجب أن يواجه فرصته . قد يرويه فيعيدونه .

- لا . . لا . . هذا غير صحيح . . أعلم أنه في خطر . . اوه

جيروم أرجوك . . فكر في حل !

- لا يمكنك اللحاق به . . هذا أمر أكيد .

- أرجوك اذهب إلى ذلك التل علك تراه من بعيد .

- حسناً . . أتاين معي ؟

- لا أستطيع رؤيتك يدنو من الخطر !

وجلست منهارة على حافة السيارة . . سار جيروم بضعة

أمتار نحو التل ، فراقته راضية .

حين وصل إلى أبعد نقطة تقريباً ، تسللت إلى مقعد

السائق . فإذا بهدير المحرك القوي يجعل جيروم يصرخ غاضباً ،

وحين بدأ يركض نحوها انطلقت السيارة مبتعدة .

إنها خدعة لشبعة شريرة فعلاً تقوم بها ضد هذا المسكين

الذي وثق بها ، وهي خدعة لا تبرير لها في أية ظروف أخرى . .

لكن في مواجهة مثل هذه الأزمة ، لا مجال للخيار .

اجتازت القرية بسرعة البرق ثم انتهت إلى الطريق التي

تفضي إلى المروج ، ليس إلى الطريق الأخرى الآمنة بل إلى

الطريق المحظرة على الجميع اليوم . ترى أيكون المانع حواجز  
مادية ، أم شرطي يحمل راية حمراء ؟

بعد ثلاث دقائق أجيب عن سؤالها ، ففي منتصف الطريق  
كان هناك حاجز خشبي يقف قربه شرطي أشار إليها بالتوقف ،

براية حمراء براقية .

ضغطت قدمها على دواسة السرعة ، وانعطفت من ناحية  
السياح الخشبي الآخر فوق العشب ، ثم عادت إلى الطريق

فوجدت نفسها نظير بسرعة لم يحدث أن بلغت هذا الحد من  
قبل . .

بعد ابتعادها ، راحت تنظر إلى جانب التل تبحث عن  
الطريق الذي قد يسلكه فارس ، وكانت بين الحين والآخر تنظر

إلى ساعتها برعب . . فلم يبق على الانفجار إلا تسع ، ثماني ،  
سبع دقائق .

في تلك اللحظة رآته .

كان على بعد ربع ميل منها .

صاحت صيحة المتنظر وجلدته ثم أوقفت السيارة بسرعة  
جعلت الإطارات تطلق صريراً حاداً ، في حين أن الجواد

المدعور تراجع غاضباً .

- ماذا دعاك بحق الله ماثي !

لكن وجهها الشاحب أنبأ بكارثة ، فتزل بسرعة وتقدم  
إليها :

- ما الذي حدث ؟

شبهت :

- اركب السيارة . . سينفون الطريق وقت الظهيرة تماماً



وليس أمامنا إلا دقائق خمس.

وكان من حسن حظها أنه لم يحتاج إلى التفسير ليفهم بسرعة. نظر بسرعة إلى ساعته، أجال بصره في ما حوله ليحدد مكانهما بالضبط بالنسبة للانفجار الوشيك ثم أدار جواده إلى الناحية التي قدمت منها مائي وضربه بعبدة بالسوط الذي يحمله، وراقب انطلاقه الغاضب إلى حيث لا يدري أنها السلامة.

وقال بحدة:

- ابتعدي عن العقود.

ابتعدت مرتجفة عن العقود وسألها:

- الساعة مضبوطة؟

- أظن هذا.

- إذن قد نجو.

كانت مائي تظن نفسها قد وصلت إليه بسرعة، لكن خلال دقيقة ونصف طارت بها السيارة حتى مال رأسها، وحين هبطت بهما السيارة إلى فحة من العشب ظنته للحظات قد فقد السيطرة على السيارة. لكنه سارع إلى إيقافها في أسفل المنحدر صالحاً:

- اخرجي منها.

لم يكن هناك وقت سوى للأوامر القاطعة، وللطاعة غير المترددة.

ما عادت تجرؤ على النظر إلى الساعة الآن. فتسلت من السيارة وأحست بيدها في يد قاسية لولاها لوقعت أكثر من مرة أثناء الركض للوصول إلى الأسفل. ثم لم يلبث أن تجاوزا

بسرعة كتلة متشابكة من أشجار العليق وأغصان الأشجار المتدلّية، ورماتها أمامه إلى ما بدا أنه سفح التل نفسه. اندفعت وهي تشق إلى جدار من النباتات، انهار أمامها، فإذا بها أمام ما يشبه كهف مغلي بالعشب والعكبوت. فصاحت مذهولة:

- كيف عرفت بهذا؟

- تراجعني إلى الوراء، بعد واستلقي أرضاً... إنه مدخل أحد المناجم القديمة.

- لكن عجباً كيف فكرت...

ما تبقى مما كانت ستقوله لم يخرج من فمها إطلاقاً، ففي تلك اللحظة، دوى انفجار رهيب هز الكون فشقت منقطة الأنفاس، وقد أزعجها الصوت حتى الموت فخبأت رأسها بين ذراعيها. في الوقت نفسه أحست به يرمي بنفسه إلى جانبها، وأحست بذراعه تحيط بها.

كانت تشعر، أكثر مما تسمع، بدقات قلبه. أم هذه دقات قلبها؟ شيء ما أيقظ على تلك الضربات حية في عالم يهتر بقوة حولهما.

بدا لها أن ذلك الانفجار الراعد استمر دقائق، ثم أحست فجأة أنه ما عاد يدوي في أذنيها.

قال لها وصيها بصوت هاديء غريب:

- انتهى الأمر.

شهقت مائي براحة، فسارع إلى جذبها إليه، لكن في الوقت نفسه دوى انفجار آخر، أخف لكن أقرب إليهما مما جعلهما يتعلقان ببعضهما بعضاً بقوة. وسمعا صوت ارتطام



الصخور وتساقطها إلى الأسفل. غطت مائي مرة أخرى وجهها  
برعب لكن في صدر وصيها، ثم رفعت رأسها فإذا الظلام  
دامس، حيث لا نور يتسلل من خلال جدار الأعشاب المتنامية  
أمام المدخل، ولا مدخل أو مخرج.

• • •

## ١٠ - البيت الأخير

همست مائي باضطراب:

- ما الذي حدث؟

ثم كررت بإلحاح لأن وصيها لم يرد عليها:

- ما الذي حدث؟

رد ببطء:

- لست واثقاً..

أجبت في تلك اللحظات كثيراً لهلوه صوته الذي كان يريد  
أن يبعد عنها الخوف.

- أظنه انزلاق أرضي سد علينا مدخل المنجم.

- أتعني أننا مسجونان هنا؟

- ليس بالضرورة.. ربما لا. لو تركت ذراعي يا حبيبي

فسأخرج قذاحتي لأرى ما أستطيع القيام به.

أدركت عندها أنها كانت متعلقة به بشدة.. تمتعت باعتذار

ثم تركته، لكنه وجد خدما في الظلام وقبلة. ليظهر لها أن

الاعتذار غير ضروري.

ثم سمعت صوت القذاحة التي اشتعلت، أوه أيتها الشغلة

الصغيرة الحلوة! ها أنت تقفزين إلى الحياة ضد هذا الظلام

الدامس كله.



دنا من المدخل المسدود. ودنت معه وبقيت جزئياً على مقربة منه لنتقي منه الشجاعة. ثم أعطتها القذاحة لتسكها، ونمتت ألا يلاحظ ارتجافها حتى تتمكن من السيطرة على نفسها.

راقبت يمرر يديه القويتين الحذقتين على سطح الكتلة غير المستوي. ثم أمسك بتوء صخري، حاول دفعه بقوة حتى ابيضت يدها وكاد الدم يخرج من بين أظفاره. لكن ما أن زحزحه حتى تصاعد صوت راعد هو لحركة الأجزاء الصخرية الأخرى. فارتد فجأة.

تناول القذاحة من ماني ومدتها أمامه، يلف ذراعاه في الوقت نفسه خلفها مطمئناً قلبها.

- سنستخدم هذه وقت الحاجة فقط. . . والآن أخبريني، . . .  
أنتك من يعلم بقدمك؟

- اوه . . . اجل . . . جيروم يعلم.  
وأخبرته بالخدعة التي قامت بها. فقال بخشونة:  
- أينها الحمقاء الصغيرة السخيفة. لماذا أردت ركوب مثل هذه المخاطرة اللعينة الحمقاء؟  
لكنه كان يضمها إليه . . . فقالت همساً:

- ظننتك قد تقتل!  
- وهل ظننت أن الأمر سيكون أفضل لو قتلت أنت كذلك؟  
- كان يجب أن أحاول إنقاذك.  
- ليس هناك «كان يجب» . . . أيعلم أحد آخر بقدمك؟  
- اجل الشرطي الواقف أمام الحاجز. حاول إيقافني، لكنني تمكنت من الإفلات منه.

- حسناً . . . هذا يعني أنهم سيفتشون عنا بعد قليل. وأظن أن سيارة جيروم ستكون ظاهرة على الطريق.

وفكرت: هذا إذا بقي منها شيء بعد الانفجار. فعلمت من خلال صمته المفاجيء أنه يتساءل مثلها عما بقي من سيارة جيروم الفاشرة. ترى هل بقي منها شيء يشير إلى مكانهما. وقالت تجاهد لجعل صوتها ثابتاً:

- إنه أمل ضئيل . . . أليس كذلك؟  
- ربما . . . لكن . . . إذا بقي شيء من السيارة ليقص قصتنا، فيفكر أحد في مدخل المنجم المهجور، نمة أشخاص عدة يعرفونه في القرية.

- عندها سيضطرون إلى الحفر لإخراجنا . . . أنظن حجارة كثيرة هوت وسدت علينا المدخل.  
- من المستحيل أن نعرف.

- أليس من الأفضل معرفة ما يمكننا القيام به من هذه الناحية قبل أن يصل إلينا أحدهم؟  
- لا . . . سنفكر في هذا كآخر ملاذ. نحن لن نقوم بأي عمل في هذا الظلام، خشية أن يتزايد تساقط الصخور. سنهلمهم ساعتين حتى يجدوا موقعنا.

- وبعد ذلك؟  
- سنجرّب حظنا في فتح ثغرة بأيدينا. اجلسي أرضاً فحجب ألا نتعب أنفسنا إذ قد نتنظر طويلاً. وسيكون الانتظار طويلاً طويلاً، ربما ساعات أو أياماً.

وأحست بجسدها يقشع وهي تصور تعبير «دفتنا حين». لكنها نحت هذه الفكرة وبحثت عن فكرة أخرى ملؤها الأمل.



فجلست أرخاً ومدت يديا إلى يد وصيها، الذي أمطق يده عليها بقوة وحزم، وبرفة غريبة، لم تكن تدرك من قبل كم قد يقال باللمس. حين ترى شخصاً لا تجد نفسك بحاجة للشعور به. أما حين لا يكون حولك إلا الظلام فأكثر ما تأنس إليه هو أول المشاعر البدائية.. اللمس!

شدت نفسها إليه أكثر حتى أرخت ذراعها على ذراعه.. وقالت كأنهما يتبادلان حديثاً عادياً:

- شرحت لجيروم سبب رفضي الزواج به.

- وكيف كان وقع الخير؟

- تلقاه بهدوء.

- لقد سار كل شيء على ما يرام إذن.

- أعتقد هذا.

- كيف تتخلين عن هذا كله، إن هذا لسخيفاً اليس

كذلك!

ولف ذراعه حولها، فقالت هامة:

- لا أظن هذا.

صمت للحظات.. ثم قال ببطء ربما لأنه سهل التحدث

في الظلام:

- أنا أسف لأن الوقت لم يسمح لك بإخبار جيرى..

أخشى أنني أفسدت الأمور عليك يا ماتي.. يا لسخافتي! كيف

أحدثك بموضوع كهذا ونحن هنا.

- لا تقل شيئاً.

وبدأت بلطف تداعب اليد التي تمسك بها، فوضع ذقنه

على شعرها.

- ولماذا تظلمين مني إلا أقول شيئاً؟ أنا لست جاهلاً، أعلم أنك اخترت جيرى، منذ البداية.. لكنني أردت أن تتزوجي بجيروم، وظننتي بوضعي نهاية سريعة لاتصالك بجيرى أستطيع إيقاف الضرر فأزوجك بسعادة بجيروم.

أغمضت عينيها لتظاهر بأن ما عليها إلا أن تفتحهما حتى ترى ذلك الوجه الحبيب الساخر. وسألته:

- أكنت متيقناً إلى هذا الحد من حيي لجيرى؟

- أجل، وقد أذكر أمامك أسباب يقيني هذا. لقد أحسست

بالانزعاج منذ اليوم الأول، منذ أن قلت إنه أقلك بسيارته إلى

انديان ستون، ثم أرعجتني بعد ذلك المعالمة أكثر.. وما إن

أصبحت جاهزة للذهاب إلى النوم تلك الليلة، حتى كان

وقوعك في حبه بادياً للعيان.. ولم أكن أو من من قبل أن هذه

أمور تحدث لكنها حدثت أمام عيني.. وهذا صحيح.. اليس

كذلك؟

- أحقاً وقعت في الحب منذ الأمسية الأولى؟

- أجل.

- أجل.. أنت على حق.. لكنني لم أقع في حب جيرى،

أتعلم، لقد وقعت في حبك أنت.

- ماتي!.. ماذا.. تقولين؟

- الحقيقة. ليس أمامنا فرصة كبيرة للخلاص من هنا..

نحن على قيد أملة من الموت. لكن ثمة ما هو أهم من

الموت.. وهذا هو.. الرباط بيني وبينك.

- يا الهي! وأنا من ظننتك طفلة!

- أنتي.. أنك لم تفكر في كامرأة؟



- لا .. لا أعني هذا أبداً .. لماذا تقولين هذا الآن .. ؟ هل  
استتجت شيئاً هذا الصباح ..  
سألك بلطف:

- وماذا قد استتج؟ هل اكتشفت أنك تحبني ليلة أمس؟  
الآنك تحبني طلبت مني هذا الصباح أن أكتب لجيري مايسون  
لأصلح الأمور معه؟  
- وكيف عرفت؟

- أعتقد أن المرأة حين يحب بجوارحه كلها وبقلبه وعقله،  
كما أحبك أنا، لا يجد صعوبة في معرفة الحقيقة.  
- حينئذ .. ما كنت قادراً على معرفة أفكارك .. أهذه هي  
الحقيقة .. يا الهي .. ليتني أرى وجهك الآن!  
قالت بسهولة وبساطة:

- ليس من المهم أن تراني، فأنت تستطيع الإحساس بي.  
كما أحس بك تماماً .. وهذا هو أهم شيء.  
ضحك بحنان .. وأحست بيده تداعب وجنتها وذقنها، ثم  
قال بهدوء وبطء:

- أجل أستطيع الإحساس بك .. يا لهذا الوجه المستدير  
البريء! ويا لعينيك النجلاوين!  
- إنهما مغمضتان الآن .. حتى أنظاها أمام نفسي بأنني إذا  
فتحتها سأرى وجهك.

سمعته يحرك الفداحة، وهو يقول أمراً:  
- افتحيهما.

وفتحتهما فوجدته هناك، لكنها لم تكن قد شاهدت مثل هذا  
التعبير الذي على وجهه من قبل - فصاحت بإعجاب .. ثم انعطفت

النور واحتواها بين ذراعيه ليضمها ويقل وجهها ورأسها وعينيها  
اللتين عادت تغمضهما، فهمت:

- أنا سعيدة لأنني رأيتك هكذا، ولو لمرة، وأنا الآن لن  
أعبأ أبداً لو .. لو ..  
فقاطعتها:

- حينئذ .. لماذا أحببتي؟ أنا لست رجلاً طيباً .. بل لم  
أكن لطيفاً كل اللطف معك إلا في الأمور المادية، التي أستطيع  
دفعها بسهولة. أنا بارد .. أحب كل شيء، أما أنت فحلوة،  
دافئة، مندفعة، ومفعمة حيوية. وأعتقد أنني أكبر منك بسنوات  
كثيرة.

ضحكت ولفت ذراعيها حول عنقه:

- لن أجيب عن هذا. فكلامك منطقي لكنه خال من المعنى  
الحقيقي. أنت حينئذ، ولين أنا فشك في حين رأيتك للمرة  
الأولى، بدوت لي مختلفاً عن كل البشر وكنت سعيدة لأنني  
قلت لأولئك الناس في القطار أن لإبليس معنى آخر هو  
«الوضاء» فقد بدوت فعلاً وضاءً. ثم كنت لطيفاً، فقلت لي إنك  
تأمل ألا أشعر بأنني إنسانة غير مرغوب فيها بعد الآن .. ولقد  
نسيت هذا الإحساس، الإحساس بأنني فتاة غير مرغوب فيها  
منذ أن وطئت قدمي انديان ستون.

فقاطعتها بخشونة:

- وما عاد إليك هذا الشعور حتى عندما قررت تزويجك  
بجبروم؟

- لا .. فقد كنت أعلم، وكنت أعلم دائماً، أنك تحبني،  
وربما تكره نفسك، لأنك تحبني.



لفضحك معترفاً بسخرية هذه الحقيقة، فأكملت:

- لكنتي حسبك تريد قصر غراي أكثر من أي شيء آخر.  
وما استسلمت أخيراً، لأنك توقفت عن الرغبة فيه، بل لأنك  
اكتشفت أنك تحبني أكثر.

قال وشفته على خدها:

- وعندما شعرت بأنني أخسرك.

أحس بها تبسم:

- لماذا لم تخطط منذ البداية حتى أكون لك؟

- أتودين معرفة الحقيقة؟

- أجل.

- لأنني اكتشفت حقيقة مذهلة وهي أنني أهتم بسعادتك

أكثر مما أهتم بسعادتي. وأنت لا تعلمين كم كان هذا الاكتشاف  
جذرياً في حياتي يا مائي.

وضحك مع شيء من التجهم:

- أنا مخلوق بارد أناني عادة...

- أوه... لا!

- بلى... ويجب أن تعرفي أي نوع من الرجال ستزوجين.

صمت فجأة، وراى الصمت بينهما... ولأنه وصف الوضع

بكلمات محددة. شعرا بالحقيقة الباردة تضرب حرارة أحلامهما

المثالية. فمن هما ليكلمنا عن المستقبل؟ فربما ليس لهما

مستقبل.

تشجعت بسرعة ثم دفنت وجهها في صدره وجمدت دون

حرك، إلا من ارتجاف بسيط لم تستطع السيطرة عليه... فمسح

شعرها بيده وقال بلطف:

- حبيبي لا تخافي... قد...

- أعلم... أعلم... ول... لست خائفة كثيراً... على

الأقل... ليس وأنت تضميني... إنني لا أخاف إلا هذه

الظلمة... الدامسة.

لكنه لدعتها قال بخشونة:

- اصمتي.

- أنا آسفة... لكن...

- اصمتي.

أدركت فجأة أنه يعني حرفية ما يقول وأنه يريد لها أن

تصمت. فمن الضروري أن يبقيا صامتين. واشتدت قبضته عليها

بنوتر مؤلم، ولم تسمع أي صوت عدا تنفسهما السريع الخفيف

وضربات قلبيهما.

ثم سمعت من الناحية الأخرى للحاجز المتهار نداءً ملحاً

مخنوقاً يقول:

- هالوو...!

وضعا دفعة واحدة، أيديهما على فمهما وردا على النداء.

وعاد الصمت مجدداً...

ثم عاد النداء الملح ثانية من العالم الخارجي. فردا على

النداء بكل ما أوتيا من قوة وجاءهما الرد بأنهم عرفوا مكانهما.

فشهقت مائي:

- لقد وجدونا. وجدونا!

وفجأة أجهشت بالبكاء:

- لا تبكي حبيبي وإلا بكيت معك.

حين توقفت عن التشيح قليلاً وشهقت بضحكة خفيفة من



خلال الدموع، نهض وشدها لتقف معه ثم أبقاها بين ذراعيه.  
عندما كانا واقفين معاً أصغيا إلى الأصوات، التي بدت أوضح  
الآن.. تظهر عن جهوداً متسارعة لإطلاق سراحهما. همست له:  
- لن يتغير الوضع حين ننجو.. أليس كذلك؟ أعني.. هل  
ما قلناه ما زال قائماً.. أنت.. أنت لم تقل هذا بدافع اللطف  
فقط.. لأنك اعتقدت أنك بقولك ذلك تواسيني قبل أن تموت.

- أي هل أحبك فعلاً؟

- أجل.. هذا ما أعنيه.

- يا الهي يا محبوبتي.. أنا أحبك بكل ذرة من كياني الذي  
لا يستحقك أو يناسبك. فإذا خرجنا من هذا الجحيم فسأضع  
كل ما أملكه تحت قدميك، للحصول على بسملة وكلمة سماح  
منك.

- يا حبيبي أنا مسرورة لأنني هنا معك.. ما كنت لأحتمل  
الوجود خارجاً وهم يحفرون لإنقاذك.

همس بمحبة:

- أيتها البلهاء!

ظهر في تلك اللحظة بصيص نور مبارك كسر الظلام.  
فقال مائي بصوت خفيض وقور:

- يا الهي! ما أجمل النور! لن أنظر إليه على أنه أمر مسلم  
به بعد اليوم!

كان النور بالنسبة لها رمز الخلاص الكبير.

وتناهد إليهما، بالطبع أصواتاً تتحدث إليهما.. ثم أدركا  
أن الحاجز بدأ يزول.. وسرعان ما كان هناك فجوة تتسع زحفاً  
منها إلى الخارج وسط صيحات الفرح والتحيات من مجموعة

كان يتوسطها جيروم.. لكن بالنسبة لمائي، كانت لحظة تسلل  
النور إلى الداخل هي لحظة المعجزة الحقيقية.

وسمعت جيروم يقول بحرارة وارتباك:

- ليؤمن اسم الله!

ودون أن يهتم بمن حولهما احتواها بين ذراعيه ليضمها.  
فاستجابت له مثلها:

- أوه جيروم حبيبي.. شكراً لك. أرجوك سامحني على

خداعي لك.. و.. و.. هل تدمرت سيارتك؟

رد من أعماق أعماقه:

- لا يهم.. المهم أنه بقي منها ما دلنا على مكانكما.

ثم استدار ليصافح تريثور مشار وسمعت مائي وصيها  
يقول:

- أشكرك لأنك أنقذت أئمن ما لدي في الوجود.

بدا جيروم دهشاً بضع لحظات ثم استنح أنه لا يشير إلى  
إنقاذ حياته. فابتسم له ثم سعى ليضع مائي في سيارة نقلها

بسرعة إلى الديان متون.

أرادت مائي أن تقول إنها تريد وصيها معها، لكنه كان قد  
وضع في سيارة أخرى، ثم وجدت أن من اللباقة أن تبقى مع

جيروم بعد أن أنقذها. فقال لها جيروم وهما في الطريق  
لإيصالها:

- يا الهي مائي! لقد أمضيتما نصف ساعة فظيمة قبل أن

نحدد مكانكما.

- أكانت نصف ساعة فقط؟

- ليس أكثر بكثير. كانت ساعة ليس إلا.



- بدت وكأنها دهر، لكنها في الوقت ذاته كانت قصيرة حتى نقول ما نريد.

- يا الهي! أتحدثنا طويلاً؟ اعتقدت أن يضع صيحات وجلة كافية.

ضحكت، ثم قالت بلطف:

- جيروم.. لا تحزن، فأنا أحب تريفور.. وهو يحيي..

وسيتزوجني.

- لكن.. يا الهي! إنه وصيك!

- أعرف هذا.. لكنتي أحبته منذ البداية.. وقد تأخرت

في اكتشاف شعوري.

- إنه كبير ماني. إنه.. حسناً.. إنه في الثلاثينات وما أنت

إلا طفلة وهو إلى ذلك لا يملك في عروقه نقطة دم حمراء، أو

نبضة فيها حرارة. وأنا لا أريد أن أنزل من قدره لكنه ليس

بالإنسان العادي بالنسبة لك.. وأنا لا أتكلم من وحي غير

شريرة، لكنتي لا أراه الشخص المناسب لك. على كل الأحوال

كنت أظنك تحبين مايسون.

فايتمت:

- وهذا ما كان يظنه تريفور. وربما اعتقدت أنني أحبه

وذلك عندما كان له إغواء الفاكهة المحرمة. لكنتي وجدت أنه

مجرد صديق.. مثلك تماماً.

- أيعرف أنه صديق، مثلي؟

- أظن هذا. فنحن لا نتقابل إلا قليلاً.

- حسناً.. هذا ليس شأني.. لكنتي يجب أن أقول إن ستار

استفاد من فرصة غير عادلة.. حسناً.. فليس من حق أي رجل

البدء بمطارحة فتاة الحب وهي بطريقة ما مدفونة حية، متوترة الأعصاب والمواقف.

- لم يكن الأمر كما تقول.

وبدأت تضحك بهستيرياً:

- حسن جداً.. سأقول.. إنني آسف.. ما كان يجب أن

أقول لك ما قلته.. ماذا دهك ماني؟

- لقد استغذت أنا من الموقف لا هو.. لا بهم الآن فلا

استطيع أن أشرح لك.

واكتفى جيروم بهذا على مضض.

عندما وصلت إلى المنزل سارعت السيدة هيدسون إلى

وضعها في الفراش باعتبارها مصدومة. وقد أحست بالراحة

للاستلقاء في الفراش، وتقبل المهدي الذي أعطاه لها طيب

صائم النظرات، حتى تمام.

حين استيقظت، وعت أن تريفور لم يعد وصيها.. إنه

حبيبها.. وإنه متوتر الأعصاب لأجلها. وها هو يقف أمام

النافذة فقالت بهدوء:

- حبيبي!

اسمه الأول ما يزال غريباً عليها. فالثفت فوراً ودنا من

السريه متجنباً فوقها:

- حسناً يا أعز الناس؟

- أنا بخير.. هل أنهض لتناول العشاء؟

مسح شعرها الأسود مبتسماً:

- إذا أحست أنك قادرة.

- أجل.. فليست في الحقيقة مريضة.. وأنت تعرف.



- أعرف هذا.

جلس على السرير ليحتويها بين ذراعيه وكأنه تذكر أنه كان على قاب قوسين أو أدنى من فقدانها، فأستدت نفسها إليه وسأته بغيا:

- أيعجبك حبك لي؟

- ماذا؟

- أيعجبك حبك لي؟ بدوت جداً جداً الآن... فتساءلت ما

إذا كنت سعيداً.

ضحك:

- أنا سعيد سعادة من أنقل أغلى ما عنده بعد أن كاد يفقده.

- أما زلت تشعر بالأسى على خسارة القصر؟

- لا..

- لا؟ لكنك هذا الصباح..

- تغيرت كل القيم والمقاييس منذ هذا الصباح. ألا

تفهمين؟ كنت أحرصك اليوم. فما تهم أية خسارة أخرى في

الدنيا بعدك أنت؟ وما هو هلمي على قصر غراي إذا ما قورن

بهلمي على فقدانك؟

صمت لحظات، ثم قالت بهدوء:

- أجل.. أفهم هذا.

ثم جذبت رأسه إليها تقبل خده.

- تفهمين إذن.. تفهمين أن كل شيء تغير بالنسبة لي؟

- أجل يا عزيزي؟

فجأة ركع أمام السرير ودفن وجهه في حجرها:

- ما همتي قط ما يقوله الناس عني... لكنني الآن أهتم

بأي شيء في العالم.

توقف عن الكلام فجأة كما بدأ. فنظرت إلى رأسه

المحني... وفكرت: أهذا هو الرجل الذي قيل عنه إنه متكبر

كإبليس؟

- لا تقل هذا فأنا أصدقك. أما بالنسبة للناس، فليقولوا ما

شأؤوا.. أخبروني عنك الكثير، وتحدثوا أكثر فيما بينهم حتى

قبل أن أراك.. وفوق ذلك كان في ما قالوه بعض الحقيقة

وبعض التجني. لكن ما من قول بهمني.. فلقد عرفت عنك

أكثر مما تعرفه الدنيا بأسرها، وما عرفت أحييت.

تنفس الصعداء ثم ضحك ضحكة ملؤها الراحة، وعندما

رفع نظره إليها فكرت: هل اعتقدت حقاً أن عينه باردتين؟

وسألها مبتسماً:

- ماذا فعلت لأستحق حبك؟

مدت يدها تداعب شعره، فعرف من طريقة مداعبتها أنها ما

عادت تلك الفتاة الصغيرة التي سحرته، وأصبحت المرأة التي

يحبها الآن.

وقالت له ببطء:

- أنت أحييتني.. وهذا كل شيء.. إن نصفي الحلقة

المقدمة أن تُحب وتُحَب. ولهذا يبدو كل شيء بسيطاً وكاملاً.

حين شدتها إليه ليعانقها، أضافت بنعومة:



- قلت لي في اليوم الأول الذي دخلت فيه إلى منزلك إنك  
تأمل ألا أحس بعد الآن بأنني فتاة غير مرغوب فيها . . ولن  
أحس هذا الإحساس أبداً . . أعرف هذا الآن .

٢٠

